وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مراكز الإشعاع الثقافي في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة:

-كنزة شعاشعية

اشراف الأستاذ:

-د. أحمد دمانة

لجنة المناقشة:

اسم الأستاذ ولقبه	الرتبة العلمية	الجامعة	المهمة
محمد محدادي	أستاذ مساعد "أ"	جامعة غرداية	رئيسا
أحمد دمانة	أستاذ محاضر"أ"	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
نصيرة نواصر	أستاذ مساعد "أ"	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:1441-1442هـ / 2020-2021م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مراكز الإشعاع الثقافي في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة:

-كنزة شعاشعية

اشراف الأستاذ:

-د. أحمد دمانة

لجنة المناقشة:

اسم الأستاذ ولقبه	الرتبة العلمية	الجامعة	المهمة
محمد محدادي	أستاذ مساعد "أ"	جامعة غرداية	رئيسا
أحمد دمانة	أستاذ محاضر"أ"	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
نصيرة نواصر	أستاذ مساعد "أ"	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي: 1441-1442هـ / 2020

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

سورة الزمر الآية ﴿9﴾

اللهم لا تحرمني وأنا أدعوك ولا تخيبني وأنا أرجوك

يا رب لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا باليأس إذا أخفقت

وعلمني أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح

اللّهم ارزقنا نوراً في القلب وزينة في الوجه وقوة في العمل

يا رب لا تأخد تواضعي وإذا أعطيتني تواضعا

فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي

الاهداء:

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك

ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الأخرة إلا بعفوك

ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلا له.

أهدي هذا العمل

إلى جدتي العزيزة أطال الله في عمرها بدوام الصحة والعافية.

إلى من كلله الله بالطيبة والوقار .... إلى من علمني العطاء بدون انتظار....

إلى من أحمل إسمه بكل افتخار،

أرجوا من الله عز وجل أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها

بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى أبد

والدي العزيز شعاشعية بوزيد

إلى ملاكي في الحياة ...إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني إلى بسمة الحياة

وسر الوجود إلى من كان دعاءها سر نجاحي وبلسم جراحي إلى أغلى الحبايب

أمـــي الحبيـبة

إلى من شاركوني عمري وقاسموني أفراحي وأحزاني

أغلى هدية إلى إخوتي إلى أخي أحمد واخي الدكتور شعاشعية لخضر

وأخواتي فاطمة الزهراء، جميلة، سهام

إلى من كان سببا في سعادتي لحظة اللهم أسعده طول العمر يا رب عبد الرحمان.

إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى صديقتي

زرباني مروة.

كترة

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أبدأ الحمد الله عزوجل صاحب النعمة والفضل الذي من علي،

ووفقني لإتمام هذا البحث

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل المشرف:

الدكتور أحمد دمانة

الذي ما ضن علي بنصائحه القيمة طيلة فترة الإشراف

على توجيهاته وإرشاداته التي كانت تذلل الوعرة وتفتح الأبواب المغلقة

جزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من قدم لي يدا بيضاء

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل

وخاصة أستاذة قسم التاريخ الذين كان لهم دور كبير في تذليل كبير من

الصعوبات في الحصول على كثير من المعلومات

فجزاهم الله عني كل خير.

والله الشكر أولا وأخرا

مقدمة

كان المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني مجتمعا عسكريا في فكره واعماله لذلك كان لابد من الوقوف حول مسار العلم والعلماء في هذه الدراسة، حيث ان الاهتمام بمختلف العلوم والثقافة هو وسيلة من وسائل الانتاج الفكري الذي عرفته الجزائر خلال العهد العثماني وشملت هذه العلوم ميادين مختلفة أهمها التأليف.

اكتسبت إيالة الجزائر رصيدا ثقافيا غنيا وهاما خلال فترة الوجود العثماني وعرفت بواسطته تطورا في كافة المجالات وخاصة المجال الثقافي الذي نحن بصدد دراسته، فبعد ظهور الدولة العثمانية كقوة ضاربة في العالم ضمت الجزائر تحت رايتها وذلك بعد تخليصها من الاعتداءات الأوروبية على سواحلها فأصبحت تابعة لها سياسيا واقتصاديا وحتى ثقافيا وهذا الأخير ما سنتحدث عنه في موضوعنا المتمثل في مراكز الإشعاع الثقافي في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

1-أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذا الموضوع في: معرفة الحياة الفكرية والثقافية في مدينة الجزائر وكذا إبراز أهم المراكز والمؤسسات الدينية والثقافية خلال العهد العثماني ودورها في تعليم وتثقيف ومدى تأثيرها في المجتمع.

2-أسباب اختيار موضوع الدراسة:

تم اختيار موضوع مراكز الاشعاع الثقافي في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني لإعداد مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الحديث لدوافع ذاتية وأخرى موضوعية، نلخصها كالآتي:

أ-الأسباب الذاتية:

- ✓ رغبتي في البحث والدراسة عن هذا الموضوع بالذات وذلك للميل خاصة الى الجانب الثقافي للجزائر العثمانية.
- ✓ رغبتي وميلي في معرفة أهم العلوم التي ظهرت في تلك الفترة وأهم أسر العلمية ومراكز حضارية وعلماءها.

ب–الأسباب الموضوعية:

- ✓ إظهار قيمة الإنتاج الثقافي ومدى تأثيره على الأوضاع الثقافية بالجزائر.
- ✓ اختياري الفترة ما بين (1518_1830) اي بداية القرن السادس عشر ميلادي كونها بداية الحكم العثماني حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر.
- ✓ اعادة الاعتبار لعلماء الجزائر العثمانية من خلال التعريف بمؤلفاتهم العلمية والتواصل الحضاري والثقافي.
- ✓ اظهار قيمة الحياة العلمية والفكرية وتأثيرها على الجزائر من خلال الأسس الثقافية للمجتمع الجزائري خلال التواجد العثماني.

3–حدود الدراسة:

اشتملت الدراسة على المجال الزماني والمكاني:

أ–الحدود الزمانية: تتمحور حول فترة الحكم العثماني لإيالة الجزائر وذلك ما بين سنة 1518 إلى سنة 1830 ميلادي أي بداية من القرن (16م) الى القرن (19م).

ب–حدود مكانية: فتتمحور في إيالة الجزائر التي تنقسم بدورها الى عدة بايليكات منها دار السلطان التي تمثل هي مركز السلطة.

4–إشكالية الدراسة:

أ–الإشكالية الرئيسية:

إلى أي مدى ساهمت مدينة الجزائر في تطوير الحياة الثقافية ونشر العلم والمعرفة خلال العهد العثماني؟

ب–التساؤلات الفرعية:

- ✓ ماهي أبرز المؤسسات الثقافية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني؟
- ✓ كيف كانت سياسة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني؟
- ✓ كيف ساهم العلماء والأسر العلمية في تطوير مدينة الجزائر وأين يكمن دورهم؟
- ✓ ماهي أهم مظاهر التواصل الفكري بين العلماء مدينة الجزائر؟

5–منهج الدراسة:

وللإجابة عن التساؤلات المطروحة اعتمدنا على المنهج التاريخي يتخلله المنهج الوصفي في بعض احيان اعتمدنا على التحليل ،بحيث يفيدنا المنهج التاريخي في سرد الأوضاع الحياة الثقافية والفكرية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، أما الوصفي في غرض ذكر المؤسسات والشخصيات العلماء و البيوتات الأسر العلمية.

6–أهداف الدراسة:

إن هدف من هذه الدراسة تسليط الضوء على حياة الثقافية في الجزائر والعوامل المؤثرة وأهم المؤسسات التعليمية ودينية والأوضاع السياسية والثقافية التي مرت بها مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ومدى تأثيرها على المجتمع الجزائري.

7–الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات تتقاطع الموضوع أذكر منها:

1) رسالة لنيل شهادة دكتوراه لدكتورة: دخية فاطمة، بعنوان " الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، بحيث ذكر فيها الفترة من تاريخ العهد التركي بالجزائر ومؤرخي الأدب خاصة في مجال النثر الفني.

2) مذكرة لنيل شهادة ماستر، الطالبين: نصر الدين رداوي وعبد الرحيم رداوي، بعنوان " الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني 1830/1530م.ذكر فيها الثراء الثقافي الذي تتميز به مدينة قسنطينة لسيما المؤسسات الثقافية وعلماءها وتأثيرها على الجانب الإجتماعي والسياسي. وقد إستفدت من بعض ماورد فيها خاصة المؤسسات الثقافية وعلماءها.

3) مذكرة لنيل شهادة ماستر، الطالبين: العيادي العمري وروابح إسلام، بعنوان: الموروث الثقافي والعمراني في جزائر العثمانية(1830/1518م). تحدث من خلاله على الهجرة الأندلسية إلى الجزائر التي مست كل مجالات الحياة وخاصة الذي تركه الأندلسيون من رصيدا ثقافيا عمرانيا متنوعا.

4) كتاب لدكتور: دحدوح عبد القادر بعنوان " المعالم الأثرية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، ج2، دراسة عمرانية أثرية" ذكر لأهم المعالم الأثرية بمدينة قسنطينة التي ترجع إلى الفترة العثمانية بداية بالعمائر الدينية المتمثلة في المساجد والمدارس ومساجد. إستفدت من هذه الدراسة كثيرا خاصة في يتعلق بالعمائر الدينية كالمساجد وزوايا ...)

5) W. Marial. la mosqué de sidi mohamed el kébir an oran. séciété de géographia et d'Archéologie de la province d'oran. fonde en 1878 .

6) Rachide bourouiba. Constantine collection art et culture. alger.1978.

8-نقد المصادر والمراجع:

لا يمكن أن تكتمل أي دراسة وتقدم إلا بالاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع، لذلك قمت بجمع عدد منها، وقد تنوعت مواضيعها واختلفت مناهج تأليفها، ومن بين المصادر والمراجع التي خدمت الموضوع نذكر:

أ-المصادر:

لقد حاولت التنويع في الكتب المستعملة لمؤلفين مختلفين وأهمها الكتب التي عاين مؤلفوها بعض فترات الحكم العثماني:

1) كتاب ل: أبي راس الناصر محمد بن أحمد بعنوان: "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار "إبراز الإنتاج التاريخي لعلماء الجزائر العثمانية التي إعتمدت عليها وإستفدت منها.
2) كتاب محمد المرعشي بعنوان" ترتيب العلوم "وكذلك كتاب "فتح الإله ومنته في التحديث بفضل ربي ونعمته ".

ب-المراجع:

1) كتاب لأبو قاسم سعد الله، بعنوان: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 دليل هذا الكتاب على حيوية الحياة الثقافية خلال عهد العثماني وعلاقات التي بين العثمانين والجزائرين وفئة العلماء ومكانتهم في الجزائر وابرز المدن والمؤسسات الثقافية وطرق الصوفية، بالنسبة لي هو كتاب مهم، استفدت منه كثيرا في تعريف شخصيات العلماء ومؤسسات الثقافية.
2) كتاب "ورقات جزائرية"، لناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، تكمن أهمية هذا الكتاب في دراسة أحداث التاريخ الجزائري في العهد العثماني وقضاياه بإعتبارها ظواهر إنسانية معبرة عن تفاعل الإنسان مع ظروف عصره، والمؤلفات التاريخية المتعلقة بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، والذي يعتبر من أهم الدراسات من تاريخ الجزائر العثمانية، إستفدت منه كونه غني بذكر أحداث التاريخية بالفترة العثمانية.
3) كتاب "الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830" لصالح عباد، الذي ذكر فيه عن وضع الجزائر في العهد التركي والهجرات الأندلسية في مدينة الجزائر.

4) بإضافة إلى مجموعة من المجلات ودراسات ومقالات ذات صلة بالموضوع التي ستكون في قائمة المصادر والمراجع في أخر الدراسة.

9-تقسيمات الدراسة:

من هذا المنطلق تركزت دراستنا على ثلاثة فصول يسبقها مدخل عن أوضاع السياسية التي كان لها ارتباط وثيق بالأوضاع الثقافية وهي الصورة التي كان عليها الوضع في الجزائر مع مطلع القرن (10هـ/16م، بدأت هذه الدراسة بمدخل تعريفي للموضوع ثم تقسيمه الى ثلاث فصول:

تناول الفصل الاول الأوضاع العامة الثقافية في الجزائر بداية التواجد العثماني والذي قسمناه الى ثلاث مباحث خصصنا المبحث الاول للأوضاع الثقافية في الجزائر بداية الحكم العثماني أما المبحث الثاني فخصصناه للعوامل المؤثرة في الحياة الثقافية بالجزائر وتناولنا في المبحث الثالث لمحة مختصرة عن سياسات التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني.

أما **الفصل الثاني** بعنوان المؤسسات الثقافية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني الذي قسمناه الى ثلاث مباحث تناول المبحث الاول الاوقاف والمساجد وذكر تعريفها واركانها وانواعها ومؤسساتها ونماذج منها وتعرضنا في المبحث الثاني الى تعريف الزوايا والمدارس وذكر انواعها ومهامها واهمها، كما تناول المبحث الثالث دور ومساهمة المؤسسات الثقافية في التعليم وتثقيف المجتمع في جميع الاطوار التعليمية.

اما **الفصل الثالث** فيتحدث عن نماذج من البيوت والاسر العلمية في مدينة الجزائر والذي قسمناه الى اربع مباحث تطرق المبحث الاول الى التعريف ببيت قدورة وذكر اهم علماء هذا البيت ودورهم وتحدث المبحث الثاني عن أهم علماء بيت ابن العنابي الحنفي واهم البيوتات العلمية الاندلسية كما ان المبحث الثالث تطرق الى اهم علماء بيت ابن علي الحنفي اضافة الى اهم البيوتات

والاسر العلمية العثمانية ، اما المبحث الرابع فتناول دور العلماء الثقافي والسياسي في ترسيخ ونشر العلم والمعرفة، وفي الاخير ختمت الموضوع بخاتمة ذكرت فيها اهم نتائج هذه الدراسة.

10-صعوبات الدراسة:

- ✓ عدم توفر مصادر في هذا الموضوع على عكس المراجع المتوفرة بكثرة وذلك لأن العثمانيين لم يهتموا بثقافة والعلم والتوثيق واحتكارها على فئة قليلة.
- ✓ طول الفترة المدروسة 1830-1518م شكل لي صعوبة في جمع المادة العلمية وتغطية تفاصيل البحث بشكل متوازن دون الإخلال بعناصر البحث مما اضطرني إلى انتقاء ما هو أهم فقط.
- ✓ وان كان لابد من كلمة أخيرة فهي تقديم الشكر والعرفان للأستاذ المشرف ولكل من ساعدني في إتمام هذا البحث.
- ✓ إضافة الى الوضع الحالي بسبب وباء كورونا والذي يمنعنا من زيارة المكتبات والذي يلزمنا اتخاذ الاجراءات الوقائية.

الفصـــل الأول:

الأوضاع العامة الثقافية في الجزائر بداية التواجد العثماني

تمهيد:

يعتبر العهد العثماني من أبرز الفترات التي خلفت تراثا تاريخيا خلال هذه المرحلة في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية وحتى الاقتصادية، ولعل هذه المنجزات الحضارية والمؤسسات الدينية والمخلفات التاريخية خلال الفترة العثمانية كانت بمثابة شاهد عيان على رقي ثقافة المجتمع الجزائري ودليل على مواكبته لتطورات عصره.

ومن خلال ما سبق سنعرض في هذا الفصل نظرة عامة حول الحياة الفكرية والثقافية وعوامل نهضتها، حيث ارتأينا تقسيمه إلى ثلاث مباحث كالآتي:

المبحث الاول: الأوضاع الثقافية في الجزائر في القرن (10هـ/16م)

المبحث الثاني: خصصناه للعوامل المؤثرة في الحياة الثقافية بالجزائر.

المبحث الثالث: عبارة عن لمحة مختصرة لسياسات التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني.

المبحث الأول: الأوضاع الثقافية في الجزائر في القرن (10هـ/16م)

ثمة ارتباط وثيق بين الأوضاع السياسية وعلاقتها بالأوضاع الثقافية، وهي الصورة التي كان عليها الوضع في الجزائر مع مطلع القرة (10هـ/16م)، إذ أنه ومع ظهور الأطماع الإسبانية وتزايدها على سواحل باحتلالهم العديد من المراسي والمدن الساحلية، ناهيك عن ظهور العثمانيين في حوض البحر المتوسط متمثلين في الأخوة بربروس في بداية الأمر (بالإضافة إلى ضعف حكام الدولة الزيانية، كل هذا وذاك انعكس سلبا على الوضع الثقافي، ذلك أن جل المؤرخين (جزائريين أو أجانب) والذين كتبوا عن هذه الفترة قد وصفوها كما يشير إلى ذلك الباحث سعد الله أبو القاسم "بداية الانحطاط الثقافي"[1]، رغم أن هذا الانحطاط كان قد بدأ ينخر جسم العالم الإسلامي منذ فترة طويلة، ذلك أن ظاهرة الجمود كانت عامة، ومع ذلك فنحن نجد إذا حكمنا من عدد العلماء في كل فترة ومن عدد التآليف أن الخط البياني للثقافة في الجزائر كان يسير في حالة إطراد وصعود.

أولاً: أبرز المؤسسات الثقافية في الجزائر(10هـ/16م)

1-الكتاتيب:

كانت الكتاتيب من أهم مراكز الإشعاع التعليمي انتشارا في الجزائر خلال العهد العثماني، باعتبارها أقل وحدة في التعليم الابتدائي، والكتاب (جمع كتاتيب)، أو المكتب كما يسمى أحيانا. وكان يطلق عليه، ولا سيما في العاصمة، اسن "مسيد" وهو بدون شك محرف من تصغير كلمة مسجد"، أما عن الطبيعة العمرانية للكتاب فقد "كان في الغالب عبارة عن حجرة، أو دكان في الأصل، أو جناح في مسجد ...، بل إن بعض الواقفين كان يكتفي بفتح غرفة في منزله على الشارع، ويجعلها كتابا للأطفال، وكذلك كان في زوايا المرابطين أجنحة خاصة لتعليم الأطفال وحفظ القرآن، وكانت الكتاتيب منتشرة في جميع الأحياء، وكثير منها كان يحمل اسم الحي الواقع فيه"[2].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان، ج1، 1998، ص19.

[2] **نفس المرجع السابق**، ص276-277.

وقد استمدت الكتاتيب قيمتها الثقافية من الأدوار التعليمية التي كانت تمارسها؛ فقد كانت الفضاء الذي "تقدم فيه للأطفال مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم كله أو أجزاء منه، إضافة إلى بعض مبادئ الفقه"، إضافة إلى "بعض مبادئ الحساب"[1].

ولم يكن التعليم في الكتاتيب ليرتبط بمراحل عمرية محددة، ف"عادة ما يتراوح عدد مريديه ما بين 15 و20 طفلا يوصلون الدراسة به من 3 إلى 4 سنوات، أما من يرغب في مواصلة الدراسة فيبقى لسنوات أخرى من أجل تعلم، وحفظ القرآن كله".

كما لم تتول إنشاء الكتاتيب هيئة وصية مستقلة في اختصاصها بذلك، بل إن المشرفين على ذلك من حيث البناء والفتح "كانوا من جميع طبقات المجتمع، فالباشوات، والبايات، والموظفون السامون كانوا يشتركون مع الأهالي في هذه المهمة العلمية والخيرية"[2].

2-الزوايا:

هي بمثابة مساجد ومدارس وملاجئ، وكان لكل زاوية شيخ ينشر تعاليمها بين أنصارها ويقال لهم (الإخوان)، وهناك مقدم يقوم بتوجيه إتباع الزاوية في المجالات الدنيوية، وهو ما شجع على قيام عدد الطرق الصوفية، وأهم تلك الطرق هي: القادرية والطيبية والدرقاوية والتيجانية والرحمانية وكان لتمك الطرق تأثيرات حسنة منها أنها عامل وحدة بين فئات الشعب، إذ قوت من الروابط بين العرب والبربر، كما أنها قادت المقاومة ضد الإدارة العثمانية، ومن مساوئها أنها زادت من اعتقاد الناس بالخرافات الدينية وتقديس الأضرحة [3].

كما نشأت بين العثمانيون والمرابطون علاقة ود متبادلة بينها، نظرً لحاجة كل منهما لآخر، فقد كان المرابطون في حاجة إلى سلطة قوية، تدعمها قوة عسكرية قادرة على صد الخطر الصليبي

---

(1) بخوش صبيحة، **وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني**، حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، مج1، ع2، جوان 2008م، ص137.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص277.

(3) مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، **أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830**، **في مجلة الدراسات التاريخية والحضارية**، (مجلة علمية محكمة)، مج5، ع16، جمادى الآخر 1434هـ/ نيسان2013م، ص453.

المحدق بالمغرب الإسلامي قاطبة، واسترجاع ما ضاع من مدن ساحلية لصالح إسبانيا والبرتغال؛ وفي الوقت نفسه كان العثمانيون في حاجة إلى قوة محلية تدعم وجودهم وتزكي بقاءهم، وتبرز بعض أخطائهم، ولم يكن أحسن من القوة الروحي التي يمثلها المرابطون [1].

وشاع في الجزائر التحالف بين العثمانيين والمرابطين، حتى عرف الناس أن هناك سياسة عامة متبعة، فكثرت الأضرحة والقباب ودخلت الطرق الصوفية من المشرق ومن المغرب، وجاء الدعاة الحقيقيون والأدعياء المزيفون ينشرون أفكارهم وأورادهم بين الناس، وأصبحنا لا نكاد نجد قرية أو مدينة تخلو من الزوايا والأضرحة والمشاهد، وعند كل بناية أناس يتبركون؛ يدعون ويزورون ويتقربون، يقيمون الحضرة ويقدمون الهدايا ويذبحون الذبائح، آتين من كل فج... وأصبح الحكام يظهرون كل الاحترام والتبجيل لأهل التصوف الحقيقي والكاذب معا.. [2].

إن الرباط في الأصل من بيوتات الاعتكاف والعبادة وتعليم الشريعة، والشيوخ والطلبة فيه منقطعون-لمدة يختارونها حسب طاقاتهم-للتعمق في معارفهم الدينية ولممارسة تدريباتهم الروحية، وقد عرفت الحركات المرابطية تطورا كبيرا وانتشارا شعبيا في المراحل التي تغيب فيها السلطات الحاكمة عن أداء دورها في حماية البلاد والدفاع عن الدين، وسرعان ما تحول هذا الانقطاع للتعبد والاستعداد لملاقاة العدو إلى انقطاع للتعلم خاصة عندما استطاع العثمانيون صد العدو وطرده عن جل السواحل، فلم يعد لهذه الحركات المرابطية مبرر وجود فتحولت إلى مساندة السلطات في محاربة العدو وإلى تعليم الطلبة أمور دينهم[3].

3-المساجد والمدارس:

قامت المساجد-إلى جانب وظيفتها الدينية بإقامة الصلاة، وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد- بجمع حلقات الدروس العمومية المخصصة للجماهير بكل طبقاتها، فالمسجد بحكم وظيفته الأساسية

---

(1) بحري أحمد، ملامح التاريخ الثقافي للجزائر في العهد العثماني، **في المجلة الجزائرية للمخطوطات**، جامعة وهران1-أحمد بن بلة- الجزائر، مج8، ع9، 2012م، ص263.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)**، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص472.

(3) بحري أحمد، **مرجع سبق ذكره**، ص266.

يتعامل مع شريحة أوسع، ولذلك فإن تأثيره العلمي أوسع، ورغم انتشار مؤسسات علمية مختلفة؛ إلا أنها لم تستطع منافسة المسجد، أو التقليل من أهميته، بل أدت هذه المنافسة الشريفة إلى تطور دوره ونفع المتعلمين، فعلى غرار ما كان واقعا في كثير من مدن العالم الإسلامي، قام في الجزائر جوامع أدّت الدورين العبادي والتعليمي، كالجامع الأعظم بالعاصمة والجامع الأعظم بتلمسان وجامع بجاية وجامع قسنطينة.

وقد اهتم العثمانيون في الجزائر-كأفراد-ببناء المساجد وتحبيس الأوقاف عليها، ولم يهتموا بشيء آخر من حيث العمران كاهتمامهم بها، وأمّنوا الموارد لصيانتها، والإنفاق على إقامة الشعائر الدينية فيها، وقد قدّر "هايدو" الإسباني عدد المساجد في مدينة الجزائر سنة 1581م بمائة مسجد، بينما لم يكن عددها تجاوز اثنين قبل دخول الأتراك، ويعني هذا أنهم شيّدوا هذا العدد الهائل من المساجد في خلال ثلثي قرن فقط، وفي العاصمة وحدها بنى الأتراك أكثر من 23 مسجدا، وما يقارب 109 مسجدا صغيرا، لعدد من السكان لا يتجاوز 30 ألف نسمة إلا بقليل[1].

وقد أطلق توصيف المدرسة على المؤسسات الدينية من كتاب وزوايا ومساجد، بحكم اختلاط وظيفة المدرسة والزاوية والجامع في ميدان التعليم. فقد كانت بعض المساجد والزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في نشر التعليم بجميع أنواعه، وخاصة الثانوي. وكانت بعض الزوايا عبارة على مدارس، كما كانت مساكن للطلبة الذين يدرسون. وكانت بعض المدارس ملحقة بالزوايا وأخرى ملحقة بالمساجد. وكثيرًا ما ينص الوقف على تأسيس زاوية وجامع ومدرسة في (وقت نفسه). لذلك فإنه من الصعب تمييز الوظائف التي تؤديها هذه المؤسسات مجتمعة في مجتمع يقوم فيه التعليم قبل كل شيء على الدين، وتلعب فيه المساجد والزوايا (وليس المدارس) الدور الرئيسي [2].

فلم تكن هناك دلالة نظامية محددة تختص بها المدرسة إطارا ومهاما، ولهذا كثيرا ما يأتي البحاثة على الحديث عنها قصد المؤسسات الدينية، لذا "هناك اختلاف بين المؤرخين الذين تحدثوا عن الحياة الثقافية في العهد العثماني في تحديد عدد المدارس الموجودة آنذاك وخاصة الابتدائية؛ إذ لا يوجد خط

---

[1] بحري أحمد، **مرجع سبق ذكره**، ص269.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص-ص 279-280.

فاصل يميز المدرسة عن الكتاب وعن الزوايا التي يتعلم فيها الأطفال والمسجد الذي تقدم فيه دروس للأطفال في أحد حجراته"[1].

وبهذا قيست كثرة المدارس في ذلك الوقت؛ فقد "كثرت المدارس التعليمية المتمثلة في الكتّاب والزوايا والمساجد والتي لعبت دورا كبيرا في المحافظة على الشخصية الجزائرية، ومحاربة الأمية، وكانت منتشرة في كل المناطق الجزائرية الحضرية والريفية، ولقد كانت الجزائر العاصمة، وقسنطينة، ووهران، وبجاية، وتلمسان، ومازونة مراكز إشعاع علمي، بها أكبر المراكز التعليمية والتربوية قبل الاحتلال الفرنسي"[2].

ثانيًا: العلوم النقلية في الجزائر خلال القرن (10هـ/16م).

قسم علماء المسلمين العلوم النقلية إلى علوم الدين، وعلوم اللغة العربية وعلوم عقلية.

وحسب العلامة ابن خلدون فإن العلوم النقلية الوضعية تعتمد على الخبر ولا مجال للعقل فيها، وأصلها الشرع من كتاب وسنة، وهي: علوم القرآن، وعلوم السنة [3].

1-علم الفقه:

هو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، ومن أسباب اهتمام علماء الجزائر خلال العهد العثماني بعلم الفقه أنه يهتم بجميع المسائل التي تواجه الإنسان في حياته الشخصية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، حيث يضع القواعد التي تنظم حياته [4].

بعد مجيء العثمانيين إلى الجزائر اتخذوا الفقه الحنفي المذهب الرسمي للدولة العثمانية، وأصبح يتمتع بالأولوية على المذهب المالكي، ومن العائلات التي اشتهرت بهذا الموضوع: أسرة ابن العنابي وعبد القادر الراشد والشاعر ابن علي وقد ساهم محمد بن محمود بن العنابي بالتأليف في هذا الباب

---

(1) بخوش صبيحة، **مرجع سبق ذكره**، ص140.

(2) بلحسين رحوي عباسية، **دراسة سوسيو تاريخية للتعليم الجزائري من العهد العثماني إلى الاستقلال**، في مجلة الحوار الثقافي، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، مج2، ع2، 21 سبتمبر 2013م، ص94.

(3) بن خلدون عبد الرحمن، **المقدمة**، دار ابن الهيتم، ط1، القاهرة-مصر، 2005م، ص355.

(4) فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، موفم للنشر، الجزائر، ج2، 2002م، ص445.

بعنوان (شرح الدر المختار) وكذلك كتب على بن محمد الجزائري (رسالة في الصلوات) وبهذا قد ألف علماء الجزائر في عدة تأليفات في موضوع الفتاوى والوقف والفرائض وغيرها من القضايا التي تهتم بجوانب الدين، حيث هناك بعض الفتاوى في قضية ما، فقد تركوا نماذج كثيرة في هذا المجال[1].

2-علم التفسير:

علم تفسير القرآن الكريم من أشرف العلوم وأعلاها منزلةً بين علوم الشريعة، وقد شاع التفسير بين العلماء في الجزائر خلال الحكم العثماني، حيث هو عماد الحلقات العلمية والدروس التي اشتهروا بها خلال تلك الفترة [2].

ومن الذين ألفوا في التفسير نجد أحمد البوني صاحب الكتاب (الدر العظيم في فضل آيات من القرآن العظيم) وقد فسر بعض الآيات من القرآن واستخرج منها المعاني حول التصوف والآداب العامة[3]، وكذلك أخبرنا أبو راس الناصر أنه ألف في هذا الموضوع بعنوان (مجمع البحرين، ومطلع البدرين، بفتح الجليل في التسيير إلى علم التفسير) في ثلاثة أسفار وجعل كل سفر يحتوي على عشرون حزبا[4]، ولمحمد الرجاي تأليف مجموعة من كتابات في التفسير منها (تفسير الخمسة الأولى) و(حواشي كثيرة في التفسير وغيره) وهناك تفسير بعنوان (تفسير القريب للمبتدئ القريب) لابن علي الشريف الشلاطي ولبهلول زواوي تأليف في هذا المجال المعروف ب(التفسير البهلول)[5].

3-علم القراءات:

يقصد بعلم القراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفيتها من تحقيق أو تثقيل بحسب اختلاف لغات العرب، اشتهرت بعلم القراءات بعض المراكز في الجزائر، مثل مدينة

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص-ص 72-79.

(2) **نفس المرجع السابق**، ج2، ص-ص 112-13.

(3) بوشيبة ذهبية، **العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني**، في مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سعيدة، مج3، ع1، 2019، ص124.

(4) أبو راس الناصري، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص179.

(5) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، مرجع سبق ذكره، ج2، ص-ص 19-20.

زواوة وذلك لبراعة علمائها واتقانهم لهذا العلم إلا أن الجزائريين اشتهروا بتدريس القراءات أكثر مما اشتهروا بالتأليف فيها، حيث كانت مقصد علماء الجزائر، وحتى علماء المغرب وتونس [1].

ومن الذين اشتهروا بعلم القراءات نجد: محمد شقرون بن أحمد المغراوي الذي ألف كتاب (تقريب النافع في الطرق العشر لنافع)، وقد وضعها على شكل أبواب مثل: باب: الاستعاذة، باب البسملة...الخ[2]، كما كتب تلميذه أحمد بن ثابت كتابا سماه (الرسالة الغراء في ترتيب أوجه القراء) ومن عناوين الكتاب نجد ذكر اختلافهم في المعوذة والبسملة، اختلاف سورة الفاتحة وسورة البقرة وآل عمران والنساء...ومن سورة (ق) إلى آخر القرآن، كما ساهم عبد الكريم الفكون في التأليف في هذا الميدان المعنون ب (سربال الردة فيمن جعل السبعين لرواة عدة) وهو عبارة عن كراسة عالج فيها أنواع القراءات ورواتها وطريقة النطق بالتكبير والصلاة على النبي ﷺ[3].

4-علم الحديث:

يقصد به حفظ ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل وما نقل عن أصحابه وقد ظهر علم الحديث من خلال اهتمام المسلمين بنقل سيرة نبيهم محمد ﷺ، وقد اهتم الجزائريون خلال العهد العثماني بعلم الحديث، واعتنوا به تدريسا وتأليفا، وأهم المراكز التي كانت تعتني بالحديث هي الجامع الكبير [4]، واهتم الجزائريون بعلم الحديث اهتماما كبيرا لما له من أهمية في حياتهم الخاصة والعامة لأنه يعد المصدر الثاني للتشريع [5].

ثالثًا: العلوم العقلية في الجزائر خلال القرن (10هـ/16م).

يعتبر العهد العثماني بالجزائر فقيرا في العلوم العقلية، فكيف نتحدث عن الحياة والعقلية في زمن التخلف العلمي. ولإن اعتني العلماء بالعلوم الشرعية والأدب والتاريخ والتصوف، لكن اهتمامهم بتدوين الطب والحساب والفلك والهندسة المعمارية وحتى الموسيقى فهي قليلة جدا، هذا إذا لم نقل

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، مرجع سبق ذكره، ج2، ص-ص 20-21.

(2) بوشيبة ذهبية، **مرجع سبق ذكره**، ص125.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، مرجع سبق ذكره، ج2، ص24.

(4) **نفس المرجع السابق**، ص25.

(5) فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، مرجع سبق ذكره، ج2، ص440.

نادرة. ذلك أن ما كان متداولا من هذه العلوم والفنون لم يخرج عن التقليد ولم يرق إلى التجديد ولم يكن ممارسيه يتمتعون بالتحرر العقلي وروح الابتكار، فأصبحت في مجملها علوما ثانوية وإذا ما درست فإن دراستها تكون فردية تعبدية، أو لأنها تساعد على فهم العلوم الأولى فهي علوم آلية كما كان يطلق عليها البعض (علوم الآلة). وهكذا فإن الحساب كان يدرس فقط لفهم العمليات الفرضية وتقسيم التركات، والطب لم يدرس إلا لفهم الأحاديث النبوية الدالة على علم الأبدان، ولم يدرس الفلك إلا لتحديد أوقات الصلاة، أما الصيدلة فقد اختلطت بالفضول الإنساني أمام قوة الطبيعة في بعض الأعشاب والحيوان والمعادن، وسيطرة السحر والشعوذة عليها في أغلب الأحيان. وهذا ما عابه عليهم الرحالة الأوربيين في التخلي عن تراث أجدادهم ايام الازدهار [1].

[1] بوشيبة ذهبية، **مرجع سبق ذكره**، ص116.

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية في الجزائر في القرن (10هـ/16م)

أولاً: تأثير هجرة الأندلسيين

ساهم المهاجرون الأندلسيون تجاه المغرب الأوسط[1] وافر في نشاط الحياة الثقافية، سواء أولئك الذين هاجروا بسبب الضعف الذي أصاب الأندلس وتكالب قوى النصارى على مدنها، أو لأسباب أخرى[2]، والهجرات الأندلسية تجاه المغرب الأوسط كانت قديمة، وسابقة للقرن السابع الهجري، إذ بدأت في عهد الدولة الأموية التي كانت تبحث عن قاعدة أندلسية ببلاد المغرب تقف في وجه الفاطميين[3]، واستمر تدفقهم بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس سنة 422هـ/1029م، وازدادت حدتها مع بداية القرن السابع الهجري، لاسيما بعد انهزام الموحدين في معركة حصن العقاب 609هـ/1212م، واستقر عدد كبير منهم بالمغرب الأوسط وعاصمته تلمسان، جلهم كان من العلماء والفقهاء والأدباء والصناع.

ولقد شجع الازدهار الذي عرفه المغرب الأوسط في عهد بني زيان في المجال الثقافي والإقتصادي المهاجرين الأندلسيين على النزول بأرضي المغرب وعاصمته تلمسان، التي كانت تشبه كثيرًا مدن الأندلس لكثرة مياهها وبساتينها وصناعها، فوجد الأندلسيون فيها تعويضا عما تركوه في مدن الأندلس.

ومن خلال تتبع مسار الهجرة الأندلسية تجاه الدولة الزيانية يمكن تقسيمها إلى مرحلتين أساسيتين:

- **المرحلة الأول:** وهي الممتدة من قيام دولة بني زيان (633هـ/1235م) إلى غاية سقوط غرناطة (897هـ/1492م)، وفي هذه الفترة عرفت دولة بني زيان نوع من الاستقرار والتطور النسبي في

---

(1) **المغرب الأوسط**: يتوسط المغرب الأقصى والمغرب الأدنى، وهو في الأغلب ديار زناتة وقاعدته تلمسان. انظر: عبد بن خلدون: **المقدمة**، اعتنى به: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 2010م، ص-ص 64-65.

(2) محمد عمرو الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص117.

(3) فيلالي عبد العزيز، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، الشرة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص-ص 96-109.

مجالات عدة، وفي المقابل تدهور الأحوال بالأندلس، وسقوط الكثير من المدن والحصون بيد النصارى[1]، ونتيجة لاشتداد ضربات النصارى للمسلمين بالأندلس كان عدد المهاجرين نحو المغرب الأوسط كبيرًا، وفي هذه الفترة أو المرحلة كان أغلب المهاجرين يستقرون بالعاصمة تلمسان والتي تكونت بها جاليات أندلسية عديدة اشتهر ذكرها، كأسرة بني وضاح التي رحلت من شرق الأندلس وكان لها مكانة كبيرة لدى السلطان يغمراسن بن زيان، وأسرة بني ملاح القادمة من قرطبة، والتي اشتهرت بالعلم والأدب، واختص بعض أفرادها بوظيفة صك النقود، ومنهم من تقلد وظيفة الحجابة[2]، ومنصب صاحب الأشغال لدى السلطان يغمراسن كعبد الرحمان بن محمد بن الملاح[3]، وكان لبعض الأسر دور في دفع الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب الأوسط، كأسرة العقباني[4] التي أنجبت عدد من العلماء، لاسيما في مجال العلوم الدينية، أبرزهم سعيد العقباني (ت 811هـ/1408م) وقاسم بن سعيد العقباني (ت 854هـ/1450م) وغيرهم، ولا تزال إلى يومنا هذا بتلمسان وندرومة ومدن أخرى أسر ذات أصول أندلسية، تعرف بنسبتها إلى الحرفة التي كانت تمارسها في ذلك العهد، أو تعرف بنسبتها إلى المكان الذي كانت تقطنه قبل الهجرة، كقرموني نسبة إلى مدينة قرمونية غرب الأندلس، وغرناطي نسبة إلى غرناطة، وشقرون نسبة إلى جزيرة شقر الأندلس، وما لقي نسبة إلى مالقة وغيرها[5].

وتواصلت الهجرة الأندلسية تجاه المغرب الأوسط في عهد بني زيان، وبلغت أوجها في عهد السلطان عبد الواحد بن أبي عبد الله (814-824هـ411-1424م)[6]، وعهد السلطان أحمد العاقل (834-862هـ/1431-1459م)، هذا الأخير استقبل المهاجرين بحفاوة كبيرة، وأنزل كل

---

(1) بن خلدون عبد الرحمان، **العبر**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2003م، ج4، ص-ص 204-205.

(2) بن خلدون عبد الرحمان، **العبر**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2003م، ج7، ص93.

(3) بن خلدون يحي، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح: حاجيات عبد الحميد، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ج1، 1980م، ص205.

(4) نسبة إلى عقبان وهي قرية شمال الأندلس، انظر: شاوش محمد بن رمضان، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص401.

(5) شاوش محمد بن رمضان، **مرجع سبق ذكره**، ص401.

(6) تولي الحكم سنة (814هـ/1411م) بمساعدة الحفصيين. انظر: التنسي أبو عبد الله، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، تح: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص-ص 243-245.

واحد منهم بالمكان الذي يليق به، فالعلماء والوجهاء أنزلهم بالعاصمة تلمسان، وأنزل التجار والحرفيين في درب خاص بهم عرف بدرب الأندلسيين، ولم تقتصر الهجرة نحو تلمسان فقط، بل قصد الكثير من الأندلسيين مدن أخرى كهنين، ندرومة، تنس، الجزائر، بجابة [1]، ومدن أخرى.

- **المرحلة الثانية:** وهي المرحلة التي أعقب سقوط غرناطة بيد الإسبان (897هـ/1492م)، وهو من أفجع ما حصل للمسلمين بالأندلس بصفة خاصة، ولجميع المسلمين بصفة عامة، لأنه أنهى الحكم الإسلامي بالأندلس [2].

ونتيجة لما تعرض له المسلمين في الأندلس من اضطهاد وإبادة، هاجر الكثير من الأندلسيين تجاه المغرب الأوسط وعاصمته تلمسان، كان بينهم العديد من العلماء والفقهاء والأطباء حاملين معهم علومهم ومعارفهم[3]، وحتى بعض صفاتهم وخصائصهم التي تأثر بها سكان المغرب الأوسط، ومن تلك الصفات حب الأندلسيين للعلم، واهتمامهم الكبير به، فكان العالم معظما عندهم، سواء عند الخاصة أو العامة، ولقد كان لهذه الصفات التي تميز بها الأندلسيون أثر في الحياة العلمية بالمغرب الأوسط، والأقاليم التي نزلوا بها، فأضحت تلك الأقاليم وارثة العلوم الأندلسية[4].

ومن بين المجالات العلمية التي كان للأندلسيين فيها تأثير، طريقة التعليم والتي أدخلوا عليها أمورا جديدة، إذ كان المنهج التعليمي المتبع بالمغرب الأوسط يعتمد على تحفيظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الدينية في البداية، ثم انتقل إلى العلوم الأخرى وقد أبدى بعض العلماء تحفظا من هذه الطريقة، على غرار أحمد بن إبراهيم الآبلي (757هـ/1356م)، إذ يرى أن الطالب بهذه الطريقة يصبح مجرد وعاء على الأستاذ أن يملأه بالمعلومات الغزيرة، في شتى العلوم[5]، كما وجه أيضا تلميذه عبد الرحمان

---

(1) فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص175.

(2) المقري أحمد بن محمد، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تح: محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت-لبنان، 1998م، ج1، ص348.

(3) فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص173.

(4) المقري أحمد بن محمد، **مرجع سبق ذكره**، ص181.

(5) بوعبدلي لخضر، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1554م)**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، إشراف: أ.د. حاجيات عبد الحميد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-الجزائر، 2005/2004م، ص91.

بن خلدون نقدا لهذا المنهج الذي يعتمد بالدرجة الأولى على الحفظ إذ كان المتعلم ملزم بحفظ عدد كبير من المؤلفات، وما كتب عليها من الشروح والحواشي والمختصرات، مما يعيث عملية التحصيل[1]، واقترح بأن يكون التعليم بالتدرج شيئا فشيئا وأن يمر بثلاثة مراحل.

أما الأندلسيون فكان منهجهم يختلف عن هذا المنهج، إذ كان الطفل يبدأ بتعلم القراءة والكتابة، ثم النحو واللغة والحساب، وبعدها ينتقل إلى دراسة المنطق وعلوم الطبيعة، ثم يليها علم الأخبار والماورائيات وأخيرًا ينتقل إلى دراسة علوم الشريعة[2]، فكان يقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم حتى يتمكن الطفل نم إجادة اللغة التي هي وسيلة لاكتساب العلوم الأخرى، وكانت العلوم الشرعية تأتي في الأخير حتى يسهل فهمها، بعدما يكون المتعلم قد حصّل في العلوم الأخرى، وقد أعجب الكثير من العلماء بهذه الطريقة كعبد الرحمان بن خلدون وغيره[3].

وقد نقل الأندلسيون طريقتهم الخاصة في مجال التعليم المبنية على تعليم الأطفال القواعد الأساسية لمختلف العلوم [4]، وساهموا في تنظيم حلقات التعليم بالمدارس والمساجد، سيما المسجد الجامع بتلمسان، الذي أصبح معهدا للتدريس يضاهي جامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس، كما ساهم الأندلسيون بقسط كبير في دفع حركة التعريب بالمغرب الأوسط، وذلك راجع لعملهم في مجال التعليم، ومن مظاهر تأثير الأندلسيين في المجال التعليمي بروز جيل من العلماء الذين برعوا في العلوم الدينية خاصة الفقه والتفسير [5].

ولم يقتصر التأثير الأندلسي على التعليم فحسب، بل تعداها إلى أمور أخرى كطرق الكتابة ورسك الخط، إذ صار الخط الأندلسي نموذجا يحتدى به [6]، وغلب الخط الأندلسي على الخط المغربي في جميع المناطق التي حلو بها، كما لقيت التآليف والمصنفات الأندلسية، سواء التي نقلت من

---

(1) سعيدوني ناصر الدين، **التجربة الأندلسية في الجزائر**، ندوة الأندلس، مكتبة الملك عبد العزيز، ط1، الرياض-المملكة العربية السعودية، 1996م، ص87.

(2) عن مراحل التعليم انظر: بوعبدلي لخضر، **مرجع سبق ذكره**، ص-ص93-95.

(3) بن خلدون عبد الرحمان، **المقدمة**، مصدر سبق ذكره، ص-ص 594-595.

(4) بن خلدون يحي، **مصدر سبق ذكره**، ج1، ص23.

(5) **نفس المرجع السابق**، ص30.

(6) سعيدوني ناصر الدين، **التجربة الأندلسية في الجزائر-ندوة الأندلس**، مرجع سبق ذكره، ص88.

الأندلس، أو التي ألفت بالمغرب الأوسط اهتماما كبيرًا، إذ اعتمدها الأساتذة في التعليم بمختلف مدارس ومساجد المغرب الأوسط، ومن أهم تلك المؤلفات: لامية الشاطبي وتفسير القرطبي وغيرها [1].

ثانيًا: التواجد المسيحي واليهودي في مدن الجزائر

عرفت بلاد المغرب الأوسط توافد العديد من الأجناس البشرية ذات الديانات المختلفة؛ وسماحة الدين الإسلامي أعطت لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية والالتزام بما عهد اليه أصحاب الذّمة؛ فسعى أهل الذمة ببلاد المغرب الأوسط للحفاظ على شريعتهم الدينية لكن هذا لم يمنعهم من أن يكن لهم دورا وأثرا في الدولة الزيانية [2].

1-دور المسيحيين:

تشير المصادر التاريخية الى أن النصارى الذين كانوا متواجدين ببلاد المغرب الأوسط لم يكن لهم دور كبير في الجانب الديني على عكس المجال الاقتصادي، فإن وجد كان بقيادة رجال الدين بالمملكة وتمثل دورهم الأساسي في حث الجنود المسيحيين على التمسك بالديانة المسيحية والمحافظة عليها، فكان القس المسيحي يقوم بدوره لكن تحت اشراف السلطة المحلية الرسمية [3].

إن البابوية حملت المسيحيين مشروع إعادة المسيحية إلى ربوع المغرب، وحثّتهم على تعلم اللغة العربية وتعليمها في المدارس المسيحية، التي تعد وسيلة من وسائل التبشير في المغرب [4]، وكانت لهم كنائس بالفنادق الخاصة بهم.

---

(1) سعيدوني ناصر الدين، **التجربة الأندلسية في الجزائر-ندوة الأندلس**، مرجع سبق ذكره، ص88.

(2) نميش سميرة، **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (7-10هـ/13-16م)**، إشراف: رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخص-ص تاريخ حضارة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، أ.د. عبدلي لخضر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان-الجزائر، 2014/2013م، ص50.

(3) نميش سميرة، **مرجع سبق ذكره**، ص51.

(4) فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص192.

2-دور اليهود:

لعب اليهود دورا في تنظيم الطقوس الدينة وتوحيدها، كما عملوا على التقليص من شدة التباينات الناجمة عن اختلاف أصول مختلف التجمعات اليهودية...، عمل اليهود على تنظيم الهياكل الدينية وذلك لحاجتها لتنظيم الطوائف اليهودية ونقل النماذج القديمة التي كانت سائدة في فلسطين، وظهر منصب الناجد أو المقدم الذي عمل على تسيير النظام القضائي الداخلي، والناطق الرسمي لطائفته لدى السلطة الإسلامية، كما يعمل على ممارسة الطقوس والشعائر والأعياد الدينية... [1] كما برز في الطب الطبيب موسى بن صموئيل بن يهودا الاسرائيلي المالقي، الأندلسي المعروف بابن الأشقر[2] الذي ذاع صيته وقال عنه الرحالة عبد الباسط بن خليل: "...لم أسمع بذمّي ولا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم وفي علم الوقف والميقات.. " [3].

ثالثًا: مجيئ العثمانيين

عاشت الجزائر في بداية القرن 16م وضعا سياسيا، تميز بالاعتداءات المتكررة لإسبانيا الكاثوليكية على سواحل ومدن الجزائر المطلة على البحر المتوسط، انتهت باحتلالها والتي أدت الى هجرة سكانية من هذه المدن، زادها محنة الضعف الذي أصاب السلطة الشرعية بمدينة تلمسان عاصمة دولة بني عبد الواد، كان هذا الوضع السيئ للجزائر تأثيره الواضح على الإنتاج الفكري الجزائري الذي تراجع بسبب هجرة العلماء من أرض الجزائر وقيام إسبانيا بتخريب مراز الثقافة الجزائرية.

---

(1) نميش سميرة، **مرجع سبق ذكره**، ص51.

(2) ولد بن صموائيل سنة 820هـ/1417م، من أسرة يهودية إسبانية اشتهرت بحاحامتها وأطبائها درس على ابيه وبعض علماء المدينة، هاجر إلى المغرب الأوسط بعد قرار الطرد سنة 1392م برفقة أسرته. انظر: بن خليل عبد الباسط، **رحلة بن خليل عبد الباسط**، نشرها للعربية روبرت برونشفيك، باريس-فرنسا، 1936م، ص45. بوعمامة فاطمة، **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين (7-9هـ/13-15م)**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف: خالد كبير علال، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008م، ص211.

(3) بن خليل عبد الباسط، **مصدر سبق ذكره**، ص45.

وأمام هذا الوضع السياسي الذي تعيشه مدن وبوادي الجزائر، جعل الجزائر تدخل مرحلة جديدة تميزت بانضمامها إلى الدولة العثمانية، إذ أن الوجود العثماني في الجزائر لم يكن يوم من الأيام وجوا استعماريا بل هو وجود معنوي أكثر منه مادي اقترنت بظروف دولية على درجة كبيرة من الخطورة بالنسبة لمنطقة المغرب وبذلك الذي جعل الجزائريين يرتبطون معنويا وماديا بالدولة العثمانية هو عنف الهجمة الصليبية على منطقة المغرب في بداية القرن 16م وعجز واهتراء الكيانات المحلية التي كانت موجودها وعجزها لتصدي لهذا الخطر وبذلك ظهرت نواة دولية جديدة بمجيء الخوة بربروس إلى الحوض الغربي للمتوسط فحافظت الجزائر على علاقتها مع الباب العالي منذ تأسيسها غير أنها كسبت استفلال في مرحلتها الأخيرة عن الدولة العثمانية[1].

خلال العهد العثماني، استقطب الساحة العلمية والثقافية في الغرب الجزائري مركزان هامان: الراشدية وحاضرتها معسكر ومازونة ومدرستها الفقهية التي تألق نجمها بعد أفول نجم تلمسان وهجرة علماء إلى المغرب الأقصى [2].

[1] جميل عائشة، **مرجع سبق ذكره**، ص08.

[2] المغرب الأقصى الذي يمتد من واد ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، أغلب سكانه من المصامدة، برغواطة، صنهاجة...الخ. انظر: الأندلسي ابن حزم: **جمهرة العرب**، تح: محمد هارون عبد السلام، دار المعارف، مصر، 1962م، ص495. عبدلي لخضر: **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط...**، مرجع سبق ذكره، ص19.

المبحث الثالث: سياسات التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني:

أولاً: التعليم قبل مجيء العثمانيين:

كانت حركة الثقافية والتعليم بالجزائر قبل دخول العثمانيين إلى الجزائر؛ تتركز في ثلاث حواضر أساسية هي: تلمسان، بجاية وقسنطينة، بالإضافة إلى بعض الحواضر الصغرى، بينما لم يأخذ الريف حظه من التعليم، ولكن ما كاد ينقضي القرن (10هـ/16م) حتى أخذت حركة التعليم منحى جديدا، فلم يعد منحصر في الحواضر الكبرى المذكورة، وإنما انتقل إلى الريف محدثا شبه توازن بينه وبين المدينة في هذا المجال [1].

شهدت تلمسان عاصمة الزيانيين حركة ثقافية وعلمية نشطة، ففي العهد الزياني أصبحت تلمسان من أهم الحواضر العلمية والثقافية في العالم الإسلامي، فقد شجع حكام بني زيان – على غرار أسلافهم الموحدين–الحركة الثقافية والعلمية واحتفوا بأهل العلم والأدب، وجعلوا من تلمسان مركز استقطاب للمفكرين من شتى بلاد المسلمين، خصوصا من المهاجرين الأندلسيين الذين فروا من بلادهم بسبب البطش المسيحي، حاملين معهم علومهم وآدابهم.

1–مظاهر التعليم قبل مجيء العثمانيين:

تجلت مظاهر ازدهار الحياة العلمية والثقافية في كثرة مركز التعليم من مساجد ومدارس وزوايا، وكثرة العلماء بالمدينة، وظهور الكثير من المؤلفات التي تنوعت بين علوم نقليو وأخرى عقلية تتضمن جل العلوم والفنون المعروفة في تلك الفترة، وكان لهذا النشاط تأثير وإشعاع ثقافي كبير ليس في تلمسان فحسب، بل امتد ليشمل المغرب والأندلس [2].

وكان التعليم منشرا في المدن والقرى، حيث يتعلم الطلاب في المرحلة الأولى القراءة والكتابة وحفظ أجزاء من القرآن الكريم وتجويده، ويكون ذلك في الكتاتيب وبعض الزوايا، ويكون الطلبة غالبا

---

[1] لزغم فوزية، **الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518–1830**، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 2009، ص61.

[2] قيبوج عبد العزيز، **الحياة الثقافية والأدبية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني (633–962هـ/1235–1554م)**، في مجلة تنوير للدراسات الأدبية والإنسانية، جامعة زيان عشور الجلفة–الجزائر، مج3، ع2، 2019، ص41.

من صغار السن، حيث يتلُون القرآن الكريم بصوت واحد، وفي مرحلة متقدمة يدرس الطلبة علوم النحو واللغة والفقه والأدب، فيحققون مستوى لائقا يمكنهم من معرفة دينهم والإلمام باللغة العربية [1]، وعدد الطلبة فيها يقل عنه في المرحلة السابقة. وفي مرحلة ثالثة يركز الطلبة على فرع معين من العلوم والآداب بمزيد من التوسع التعمق والتفصيل، وتكون الدراسة في هذه المرحلة في المدارس أو المساجد المشهورة؛ الجامع الأعظم بتلمسان، ويقل عدد الطلبة عن المرحلة السابقة [2].

أما سنّ الطالب فيكون في حدود العشرين عاما، وبعد الانتهاء من هذه المرحلة التي تستمر حوالي عشرة أعوام يطوف الطلاب البلاد للقاء العلماء المشهورين، وكثير منهم يرتحل إلى أقطار المغرب الأخرى والأندلس والمشرق، فيوسه مداركه العلمية ويتعمق فيها، وقد يشتغل هناك بالتعليم أو بمناصب أخرى، فتأثرت بذلك الحياة الفكرية إلى مدى بعيد بفضل هذا الاحتكاك مع علماء الأقطار الإسلامية الأخرى [3].

2-نُظم التدريس قبل مجيئ العثمانيين:

كانت نظم التدريس في العهد الزياني على نوعين من التعليم؛ النوع الأول حكومي ويسمى كذلك التعليم الرسمي، وهو التعليم الذي تأخذ فيه الدولة على عاتقها بناء المدارس وتعيين المدرسين وتحديد الجرايات للمدرسين والطلاب، وفي هذا النظام التعليمي تقوم الدولة بتدريس المضامين والمذاهب التي تريدها، وتهتم بهذا النوع من التعليم لتكوين وتخريج موظفين لها [4].

وتذكر المصادر خمس مدارس كبر بتلمسان أنشأها الحكام الزيانيون والمرينيون، بداية بالسلطان أبي حمو الأول (ت718هـ)، الذي أنشأ مدرسة "أولاد الإمام" يوسف بن يعقوب، وهما العالمان الجليلان أبو زيد وأبو موسى، ووضعهما للتدريس فيها وأقام إيوانين معدين للتدريس وبجانبهما دارين

---

(1) حاجيات عبد الحميد، **أبو موسى حياته وآثاره**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1982م، ص35.

(2) بورويبة رشيد، موسى لقبال، حاجيات عبد الحميد، **الجزائر في التاريخ**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، د ت، ص437.

(3) حاجيات عبد الحميد، **مرجع سبق ذكره**، ص36.

(4) قيبوج عبد العزيز، **مرجع سبق ذكره**، ص41.

لسكن ابني الإمام ومساكن للطلبة[1]، وفي عهد السلطان أبي تاشفين الأول (ت737هـ)، لم تعد مدرسة أولاد الإمام تفي بالغرض لتزايد أعداد الطلبة فأنشأ السلطان مدرسة جديدة تسمى المدرسة التاشفينية قرب الجامع الأعظم، وعين أفضل العلماء للتدريس بها منهم العالم الفاضل موسى المشدالي، وأقر للمدرسين والطلبة الجرايات[2]، وأنشأ السلطان أبو عنان المريني سنة (754هـ) مدرسة عند ضريح الولي أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي الملقب بالحلوي[3]، وأقام السلطان أبو حمو موسى الثاني المدرسة اليعقوبية نسبة إلى والده أبي يعقوب يوسف سنة (765هـ) وجلب لها أشهر المدرسين وعلى رأسهم العالم الجليل الشيخ الشريف التلمساني[4]، كما أنشأ السلطان أبو العباس أحمد العاقل سنة (850هـ المدرسة الجديدة بتلمسان وعين لها الأوقاف والأحباس[5]. أما التعليم الحرّ فيتم دون تدخل الدولة، أو تكون سيطرتها عليه قليلة، ويكون عادة داخل الزوايا وقرب قبور الأولياء وبعض المساجد.

ثانيًا: اهتمام العثمانيين بالتعليم والعلماء

لقد عرف التعليم في العهد العثماني خصوصية، فالمتتبع لمساره يلاحظ أن التعليم كان مقتصرًا على تعليم المبادئ الأولية للقراءة والكتابة، وهذا ما يفسر الانتشار الواسع للتعليم الإبتدائي هذا ما جعل الكثير من الباحثين والتربويين خاصة يصفونه بالتعليم الأولي، كما عرف انتشارا واسعا للمدارس القرآنية، مما اعطى للتعليم الصيغة الدينية، وفي هذا الصدد يقول شمبر: "لقد بحثت قصدا عن عربي

---

(1) التنسي محمد بن عبد الله، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقبان في شرف بني زيان**، تح وتع: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص139.

(2) التنسي محمد بن عبد الله، **مصدر سبق ذكره**، ص141.

(3) بورويبة رشيد، وآخرون، **مرجع سبق ذكره**، ص438.

(4) **الشريف التلمساني**، هو أبو عبد الله أحمد الشريف الحسني، ولد بتلمسان سنة (710هـ) من أشهر المدرسين والعلماء بتلمسان، حفظ القرآن ثم أخذ العالم عن الأخوين أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام والعالم الجليل موسى المشدالي وغيرهم، ظهرت نجابته في شتى العلوم الدينية والطبيعية، رحل إلى تونس لطلب العلم ولازم أبا عبد الله بن عبد السلام الهواري ثم عاد إلى تلمسان ثم رحل إلى فاس ثم استقر أخيرًا بتلمسان في عهد أبي حمو الثاني، الذي بنى له المدرسة اليعقوبية، حيث بقي مديرًا بها إلى أن توفي بتلمسان عام 771هـ. ينظر: بن خلدون يحي، **مصدر سبق ذكره**، ج1، ص120. وأين مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، مرجع سبق ذكره، ص-ص 117-120.

(5) التنسي محمد بن عبد الله، **مصدر سبق ذكره**، ص-ص248-249.

واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة غير أنني لم أعثر عليه في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوربا".

إن النشاط التعليمي لم يرتبط أساسا بعهد الأتراك بل مارسته البلاد سلفا، غير أنه حظي باهتمامهم واحترامهم كأفراد لا كدولة وصية، في حين كان الممول الرئيسي لهذه الممارسة التي عكست الملمح الحضاري لجزائر ذلك العهد الموارد الوقفية [1].

إن اللافت للانتباه أن التعليم في هذه الفترة لم يكن نظاميا معتمدا من طرف الدولة، "فإذا رجعنا إلى تاريخ التعليم الجزائري في العهد العثماني نجد أنه لم يكن في الجزائر ما يدل على وجود نظام رسمي قائم، حيث كان يغلب عليه الطابع الذاتي الحر، نظام يخضع لموروث تقليدي يضم عدة مؤسسات تعليمية: الكتّاب، الزوايا، المساجد، تمثل التعليم العربي التقليدي السائد في المجتمع الجزائري منذ القدم، والذي استمرت وظيفته حتى بعد الاحتلال الفرنسي"[2].

ونستشف هذا الطابع الذاتي الحر الذي لازم التعليم آنذاك من مبادرة الأفراد التي أحدثت فارقا، كونها ارتقت إلى مستوى الظاهرة؛ "فكان سكان كل قرية ينظمون بطرقهم، ووسائلهم الخاصة تعليم القرآن والحديث والعلوم العربية والإسلامية؛ لأن دراسة مثل هذه العلوم هي السبيل إلى معرفة وفهم أسرار الدين والقرآن والسنة، ولذلك كان القرآن أساسا للتعليم في الجزائر سواء كان تعليما ابتدائيا أو ثانويا أو عاليا"[3].

يعدّ هذا البعد الشعبي في الاحتفاء بالنشاط التعليمي من العوامل التي جعلت "التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني منتشرا انتشارا واسعا حتى غطى كل المناطق بما في ذلك القرى والمداشر، رغم أن السلطة العثمانية ركّزت فقط على المحافظة على الاستقرار السياسي، والدفاع عن الحدود، وجمع

---

(1) بردي صليحة، **الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني–دراسة في الواقع والمعطيات**، في مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جامعة قاصدي مرباح–ورقلة–الجزائر، ع11، جوان 2018م، ص129.

(2) بلحسين رحوي عباسية، **مرجع سبق ذكره**، ص94.

(3) أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 9، الجزائر، 1982م، ص–ص 159–160.

الضرائب لبيت المال، ولم تتدخل في شؤون التعليم باستثناء بعض البايات؛ مثل: محمد الكبير، وصالح باي"[1]. اللذان سنتطرق لدورها في تشجيع الحركة العلمية في المطلب الموالي.

إن هذا النشاط التعليمي الخاص الذي تبنته الجهود الفردية، والمؤسسات الخيرية من كتاتيب وزوايا ومساجد؛ كما تبناه رجال الدولة بصفتهم أفرادا لا قطاعا حكوميا يرجع إلى أن "العثمانيين في الجزائر لم يهتموا بالجانب الثقافي بقدر اهتمامهم بجوانب الحياة الأخرى، وأن مشعل العلم قد تكفل به الجزائريون رغبة منهم في الازدهار الثقافي، وللمحافظة على ما توارثوه من علوم ومعارف عبر الأجيال كجزء من التراث العربي الإسلامي"[2].

ربما كانت السلطة العثمانية لا ترى في التنمية الثقافية التي تتصل اتصالا وثيقا بالمستوى التعليمي في البلاد طموحا يعنيها، بقدر ما كان يعنيها التحكم في ميادين الحياة الأخرى خاصة السياسة والاقتصاد، و"لكن ما يحفظ للأتراك هو أنه وإن لم يشجعوا التعليم فإنهم لم يعرقلوه"[3].

وغياب الطابع النظامي، والتأطير الحكومي عن الممارسة التعليمية سبب تراجعا في الأداء المهني لهذا النشاط؛ "فلم تكن مهنة التعليم من المهن المرغوب فيها أو المربحة خلال العهد العثماني، فقد كانت مهنة لا تجلب إلى صاحبها إلا الفقر، إلا أنها تجلب إليه عطف الناس واحسانهم، واحترامهم المعنوي"[4].

ثالثًا: دور بعض البايات في الحركة العلمية

أشرنا سابقا أن الدولة العثمانية لم تتدخل في شؤون التعليم باستثناء بعض البايات؛ مثل: محمد الكبير، وصالح باي"، وفيما يلي سنقوم بذكر دورهما في تشجيع الحركة العلمية باختصار.

---

(1) حبوش حميد أيت، **واقع التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني**، حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، مج 9، ع7، 31 ديسمبر 2013، ص7.

(2) مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، **مرجع سبق ذكره**، ص436.

(3) بخوش صبيحة، **مرجع سبق ذكره**، ص136.

(4) حبوش حميد أيت، **مرجع سبق ذكره**، ص7.

1-دور محمد باي الكبير في تشجيع الحركة العلمية:

كان لمحمد باي الكبير دور في الحركة العلمية، وذلك نتيجة للأهمّية التي أولاها هذا الباي للجانب الثقافي وتشييده لمؤسّسات ثقافية خاصة وأنّ أعماله لم تقتصر على جمع الكتب واقتنائها وإيفاء البعثات من أجل الدراسة، بل شيَّدَ إنجازات حضارية هامّة ساهمت في رفع حركة التَّعليم والثَّقافة، من أهمِّها المدرسة العظيمة بخنق النطاح التي بها ضريحه، وتعرَف للآن بالمدرسة[1]، كما قام ببناء مسجد صغير يحمل اسمه في سنة 1792م مباشرة بعد تحرير وهران من الاحتلال الإسباني، يكون مقبرةً له ولأفراد عائلته بعد وفاتهم، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الآغا بن عودة المزاري: «..ولمّا طار خبر وفاته لأهل الجزائر سنة 1799م بعثوا لابنه عثمان خليفته وهو أكبر أولاده بالمملكة، فركب فوراً وحثَّ السَّير إليهم حثيثاً بعدما بعث أباه بوهران وأوصى على دفنه بالمدرسة التي بالموضع المسمَّى بخنق النّطاح من وهران...».

لقد بُني هذا المسجد[2] في سهل خنق النِّطاح إلى الشَّرق من مدينة وهران القديمة على حوالي كيلومتر ونصف تقريباً، ولا يبعد كثيراً عن المنحدر الذي يُشرف على البحر والميناء البحري شمالاً، وقد بُني على أرضٍ سهليةٍ منبسطةٍ واسعة، خاليةٍ من العمران بعيدة كلَّ البُعد عن المدينة القديمة وهران بمسافة طويلة، وهو حالياً بموازاة شارع جبهة البحر (تريبولي) قرب سوق ميشلي المخصَّصِ للخضر والفواكه، وتفصل بينه وبينها عمارات حديثة وشاهقة استحدثها الفرنسيون مؤخَّراً، وهو على شكلٍ مستطيلٍ، نصفه الشرقي قاعة متوسّطة الحجم وشبه مربَّعة، ونصفه الغربي تتوسَّطه ساحة صغيرة بها نخلة وبعض الحشائش، وهي محاطة بسياج من الآجر ونافورة من المياه، وفي الزَّاوية الشرقية للقاعة توجد منارة متوسّطة العلوِّ ومربّعة الشّكل، ووراءها إلى الغرب بيت صغير اقتطع من القاعة الرئيسية يتَّخذه الإمام حاليا مقراً له لإعداد خطبه ودروسه، وإلى يسار المنارة وبيت الإمام يوجد بيت متوسِّط

---

(1) الزياني محمد بن يوسف، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تق وتع: المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013، ص267.

(2) جاء في بعض المصادر أن هذا المسجد كان موجوداً قبل فتح وهران الأخير، وكان مدرسة خارج أسوار مدينة وهران وأبراجها، بحيث كان يقيم فيه طلبة العلم للدراسة ومراقبة تحركات الإسبان العسكرية في مدينة وهران، وهو بذلك عبارة عن قاعدة أمامية إسلامية لتمهيد فتح وهران.

.

الحجم في مقدمة المسجد شرقاً به حالياً آثاثٌ قديمٌ ويُعتَقدُ أنَّه كان مثوى وقبرا للباي محمد الكبير مؤسّس المسجد، وفي مؤخِّرته توجد أماكن للوضوء يبدو أنّها حديثة ولم تكن سابقاً وهي موجودة في ناحيته الغربية[1].

2-دور صالح باي في تشجيع الحركة العلمية

يعتبر صالح باي [2] من أبرز بايات الجزائر في الشرق، فقد كان ذا شهرة واسعة وذاع صيته بفضل انجازاته، حيث عرف عصره ازدهارا وانتعاشا حتى خاف منه دايات عصره من الاستقلال ببايلك الغرب لما رأوا الناس قد التفت حوله، أما عن علاقته مع العلماء فقد قربهم إليه وإهتم بالتعليم ورجال الدين والفقهاء، ومن مآثره اهتمامه بالمنشآت الدينية إذ قام ببناء المدرسة الكتانية سنة (1189هـ/1775م)، وبعد سنة من ذلك قام بتأسيس الجامع الحنفي بجوارها [3]، وقد تعددت واختلفت انجازات هذا الباي والتي نوجز أهمها فيما يلي:

أ-جهوده في بناء المساجد:

عرف بايليك الشرق ولاية صالح باي الذي شهد عصره ازدهارا للحركة الفكرية والثقافية خلال فترة توليه الحكم، والسبب في ذلك يرجع إلى تشجيع رجال الفكر والثقافة، وتأسيس المؤسسات التعليمية والدينية كالمساجد والجوامع والزوايا، هذا وتختلف الإحصائيات حول مساجد مدينة قسنطينة، ففي عهده بلغت كما جاء في السجل الذي أمر ببنائها 75 مسجد وجامع بالإضافة إلى 07 مساجد خارج المدينة، وقد جاء في بعض الإحصائيات المتأخرة أن قسنطينة كانت تضم 35 جامع فقط، وبالإضافة إلى هذا اهتم صالح باي أيضا بالكتاتيب القرآنية والزوايا، والتي بلغت في عهده 13 زاوية، وهذا يدل على اهتمامه ال كبير بالشؤون الدينية، ومن بين أشهر المساجد التي

---

(1) بوعزيز يحي، **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، ط1، الجزائر، 2002، ص57-58.

(2) قيل أن مولده كان حوال سنة 1725م وجاء إلى الجزائر سنة 1741م، أصله من بلد أزمير وكان رجلا عاقلا عارفا بالسياسة وأمور السلطة لأنه من الأقدمين في الأوجاق وترقى من مرتبة إلى مرتبة حتى بلغ منصب الباي الذي بقي على رأسه 22 سنة (1771-1792م)، وكان حسن السيرة وصاحب حق. انظر: حساني مختار، **تاريخ بايات قسنطينة**، تح: مختار حساني، منشورات دحلب، الجزائر، 1999م، ص42.

(3) الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج3، د ت، ص278.

بناها صالح باي نذكر: جامع سوق الغزل وجامع سيدي الكتاني الذي شيده سنة 1775م وشيد إلى جانبه مدرسة، وفي سنة1791م تم بناء الجامع ال كبير ببونة[1]، كما توفرت قسنطينة في عهده على خمسة مساجد كبرى وسبعين مسجدا صغيرا إلى جانب الكتاتيب القرآنية وأولى اهتمامه بالتعليم الديني وغيره، وخصص للمعلمين والفقهاء والوعاظ والأئمة أجور من أموال الأوقاف التي اهتم بصيانتها ورعايتها، فجعل للمدرسين 40 ريالا في السنة وللوكيل 08 ريالات وللبواب 07 ريالات لكل طالب من الطلبة المجاورين 06 ريالات[2]، وكل ذلك من أموال الأوقاف التي أمر صالح باي بإحصاء كل أملاك المساجد والمؤسسات الخيرية وقام بمراقبتها والإشراف عليها[3]، ووضع عدة شروط صارمة لتسييرها أراد من خلالها صالح باي أن ينشأ بفضلها علماء أكفاء[4].

ب–جهوده في تشييد المدارس:

لقد كثرت المدارس في قسنطينة في العهد العثماني وخاصة في عهد صالح باي، الذي نهض بالتعليم واعتنى بالمؤسسات العلمية، وقد ثبت من السجل الذي أمر به صالح باي أنه كان في قسنطينة على عهده مدرستان ثانويتان وهما "سيدي بوقصيعة" و"سيدي ابن خلوف" ولكن هذا السجل لم يشير إلى عدد المدارس الابتدائية [5]، ومن بين أهم المدارس التي شيدها صالح باي نذكر منها:

مدرسة سيدي الكتاني التي تقع بالجانب الشرقي من الجامع المعروف باسم سيدي الكتاني، وأسسها صالح باي سنة 1787م واشتهرت منذ تأسيسها باسم المدرسة الكتانية نسبة إلى ولي صالح "اسمه الكتاني من ق 18م" وكانت العادة حينئذ أن تسمى المدارس والمساجد والزوايا بأسماء شخصيات اشتهرت بالعلم والصلاح والجهاد وسميت بأسماء رجالها للتبرك والاقتداء بهم، وتقع هذه

---

(1) الجيلالي عبد الرحمان، **مرجع سبق ذكره**، ص279.

(2) المدني أحمد توفيق، **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766–1791م) سيرته، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص135.

(3) قشي فاطمة، **قسنطينة في عهد صالح باي البايات**، ميديا بوليس، قسنطينة–الجزائر، 2005، ص67.

(4) المدني أحمد توفيق، **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766–1791م) سيرته، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، مرجع سبق ذكره، ص–ص 134–135.

(5) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص275.

المدرسة بالضبط في الجزء الشرقي للمدينة العتيقة، في أعلى مدينة قسنطينة، وهي قريبة من "جسر سيدي مسيد" بمحاذاة السوق الشعبي المسمى بسوق العصر، وبهذه المدرسة دفن صالح باي، وهي تضم رفاته ورفاة عائلته وبجانب مسجد سيدي الكتاني أسس صالح باي مدرستين بقسنطينة، أولها المدرسة التي ذكرناها آنفا والتي انتهى من بنائها 1775م والثانية مدرسة سيدي الأخضر (1203هـ/1789م).

وحتى تؤدي هذه المدارس وظائفها، استحدث صالح باي نظاما دقيقا يتقيد به المدرسون والطلبة، ويخضع له العاملون بأماكن الدرس والعبادة، فبفضل هذا النظام وظف وكيلا يسهر على نظام الدراسة يساعده قيم في أداء مهمته، كما استحدث في كل مدرسة قاعة للصلاة وميضأة وخمس غرف إحداهما مخصصة للمدرسين، والأربع الأخرى يقيم بها الطلبة الذين كانوا يتوزعون بنسبة طالبين لكل غرفة، وخصص لكل من المدرس والوكيل والطلبة والمقيمين أجورا سنوية قارة، وبرنامج دراسي محدد، وقوانين دقيقة يخضعون لها، فقد كانت هذه القوانين تقتضي في حالة التغيب دون عذر، وعدم التقدم في الدراسة التي حددت مدتها بعشر سنوات، أو عند إظهار السلوك المنافي للآداب العامة، أن يتعرض الطالب للعقاب أو الطرد، وقد أثارت هذه التنظيمات التربوية إعجاب بعض الكتاب الفرنسيين وعلى رأسهم فايست "E.Vayssettes" الذي علق عليها "إنها تنم عن روح متفتحة وعقل واع، فهي لا تقل في شيء عما كان جار به العمل في مدارس فرنسا آنذاك"[1].

أما في المناطق النائية فقام صالح باي ببناء الزوايا لتحفيظ القرآن الكريم، وكان صالح باي يهدف من هذه المؤسسات العلمية نشر التعليم بين الناس على نطاق واسع، ليتمكنوا من أمور دينهم، ولإعداد رجال يتولون أمور الإفتاء والقضاء والإمامة والتدريس، وكل ما يتعلق بالشؤون الدينية، بالإضافة إلى حفظ علوم الدين من الضياع والنسيان، والعمل على تحسينها فمهما وتعليما، ويهدف كذلك إلى إعداد الفرد المسلم للحياة إعدادا جيدا ليفيد نفسه ومجتمعه والإنسانية كافة [2].

---

[1] سعيدوني ناصر الدين، **أبحاث ودراسات في تاريخ العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1988م، ص295.

[2] شرويك محمد الأمين، **جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية**، في مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، جامعة الأغواط-الجزائر، ع8، جوان 2018، ص579.

ج–اهتمامه بالأوقاف:

كان صالح باي من المبادرين الأوائل في وقف بعض ممتلكاته منها ما وقفه على المدرسة والمسجد اللذان بناهما مما دفع بأعيان المدينة الإقتداء به في هذا النهج[1]، وقد قام صالح باي بمجهودات كبيرة لتنظيم الأوقاف وحمايتها، وقد جسد سياسته من خلال تعيين عمال يسجلون أملاك المساجد، والمؤسسات الخيرة، بحيث تكون تحت إشرافه ومراقبته وقد أمر بتدوين تلك الأملاك في سجل كبير..[2]، وكانت مؤسسة الأوقاف قبل توليه صالح باي شؤون قسنطينة تعاني الاضطرابات والإهمال والفوضى، الأمر الذي أدى إلى ضياع عوائدها وإتلاف أملاكها، حيث قام صالح باي بعد أن وصلته الأخبار بأن التقصير قد وقع في أوقاف المساجد وعاث فيها الوكلاء فسادا ونهبا وإهمالا فعطلت عن وظائفها وأصبحت مرابط للدواب، فأمر الباي أن تضبط الأمور في الحال، وقد وضع لذلك سجلات يشرف عليها القضاة والمفتون، وأمرهم أن يبحثوا بالإضافة إلى ذلك عن الأوقاف سواء انقرضت أو التي مازالت ولكن في حالة سيئة، كما قرر محاسبة الوكلاء في كل ستة أشهر، وعهد إلى (المجلس العلمي) المكون من العلماء وصاحب بيت المال بالنظر في شؤون الأوقاف وفائضها في كل سنة، على أن يستعمل الفائض في شراء عقار آخر يصبح بدوره وقفا.. وهكذا [3].

ولقد اتخذت أوقاف صالح باي من المدرسة والجامع الأعظم مركزا رمزيا، فانجر عن ذلك نقل وسط المدينة وتوسع عمران لم يسبق لقسنطينة أن عرفته قبل هذا التاريخ، وانطلق في تعمير المنطقة من المجمع الديني الثقافي، الذي أصبح مركزا تجاريا نشيطا بفضل تواجد محلات تجارية تصرف غلتها على المؤسسات، وأول ما حبس على هذا الأخير تسعة حوانيت "قبلية المفتح" كانت لصيقة بمسكن صالح باي، وذلك في سنة 1774م، وقد اكتسب المكان أهمية كبيرة حينما قرر صالح باي السكن بجوار المسجد في الدار التي بناها لنفسه بين الجامع الأعظم وبين مقعد الزواوة، وتواصلت عملية الوقف طوال "عشرة سنوات" تزيد في ثروة المدرسة والجامع من جهة، وتوسيع أحباس الجامع وتنظيم وتوزيع

---

(1) قشي فاطمة، **قسنطينة في عهد صالح باي البايات**، مرجع سبق ذكره، ص67.

(2) سعيدوني ناصر الدين، **أبحاث ودراسات في تاريخ العهد العثماني**، مرجع سبق ذكره، ص–ص 295–296.

(3) شرويك محمد الأمين، **مرجع سبق ذكره**، ص580.

المحلات المجاورة لهذا الحي من جهة أخرى[1]، كما قام صالح باي بشراء شارع الذميين الذي قدرت مساحته خمسة وعشرين ذراعا وحبسها على جامعه في أواخر محرم1775م، كما قام بحبس جميع الأنقاض المذكورة التي بناها على الجامع الأعظم تحبيسا مؤبدا واستثنى دار المرضى التي بناها إذ جعلها مهيأة لسكن من حصل به مرض من العسكر ليستقر بها[2].

مما سبق نخلص أن ارتباط الجزائر بالدولة في القرن 16م، كان نتيجة لاستنجاد الأهالي بالعثمانيين كرد فعل طبيعي في مواجهة التحرشات الصليبية التي شنها البرتغاليون والإسبان ضد المسلمين في شمال إفريقيا، خاصة بعد سقوط غرناطة، وكذا تحرشاتهم وهجماتهم واحتلالهم الذي استهدف المدن الساحلية لبلدان المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة (الجزائر حاليًا)، وقد كان الإخوة بربروس، عروج وخير الدين وإسحاق من أوائل العثمانيين الذين استقروا على أرض الجزائر.

وكان هذا القرن، أي 16م قرن انبعاث الدولة الجزائرية القوية الموحدة، حيث استطاع أبناؤها بالتعاون مع العثمانيين أن يؤسسوا قوة سياسية وعسكرية واقتصادية هامة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وقفت الند للند في وجه كل الأطماع الأوروبية سواءً على أراضيها أو باقي الدول الإسلامية المجاورة.

أما عن الأوضاع الثقافية في الجزائر فقد تأثرت بالأوضاع السياسية، حيث كانت حركة الثقافية والتعليم بالجزائر قبل دخول العثمانيين إلى الجزائر؛ تتركز في ثلاث حواضر أساسية هي: تلمسان، بجاية وقسنطينة، بالإضافة إلى بعض الحواضر الصغرى، بينما لم يأخذ الريف حظه من التعليم، ولكن ما كاد ينقضي القرن (10هـ/16م) حتى أخذت حركة التعليم منحى جديدا، إذ أنه ومع ظهور الأطماع الإسبانية وتزايدها على سواحل باحتلالهم العديد من المراسي والمدن الساحلية، ناهيك عن ظهور العثمانيين في حوض البحر المتوسط متمثلين في الأخوة بربروس في بداية الأمر (بالإضافة إلى ضعف حكام الدولة الزيانية، كل هذا وذاك انعكس سلبا على الوضع الثقافي، ذلك أن جل المؤرخين (جزائريين أو أجانب) والذين كتبوا عن هذه الفترة قد وصفوها كما يشير إلى ذلك الباحث سعد الله

---

(1) قشي فاطمة الزهراء، **مؤسسة الأوقاف في قسنطينة في العصر الحديث**، في مجلة دراسات إنسانية، جامعة الجزائر2، أبو القاس سعد الله، الجزائر، مج01، ع02، 2002/2001م، ص138.

(2) شرويك محمد الأمين، **مرجع سبق ذكره**، ص580.

أبو القاسم "بداية الانحطاط الثقافي". رغم أن هذا الانحطاط كان قد بدأ ينخر جسم العالم الإسلامي منذ فترة طويلة، ذلك أن ظاهرة الجمود كانت عامة، ومع ذلك فنحن نجد إذا حكمنا من عدد العلماء في كل فترة ومن عدد التآليف أن الخط البياني للثقافة في الجزائر كان يسير في حالة إطراد وصعود.

خلاصة:

شهدت الجزائر مع الدخول العثماني إليها الكثير من التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فمن الناحية السياسية أصبحت الجزائر دولة موحدة لها عاصمة واحدة ونظام سياسي موحد، أما من الناحية الاقتصادية فقد تطورت الجزائر تطورا ملحوظا على تنظيم الاقتصاد مع الأسواق الداخلية والخارجية وتحديد العلاقة بين السلطة، أما من الناحية الثقافية فبالرغم من أن العثمانيين لم تكن لهم سياسة واضحة في التعليم إلا أنهم لم يقفوا في وجه تعلم الجزائريين مما انعكس إيجابيا على الحياة الثقافية في البلاد.

الفصـــل الثاني:

المؤسسات الثقافية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

تمهيد:

بدأت المؤسسات الثقافية الدينية من أهم مراكز الإشعاع الثقافي آنذاك وكانت تظهر في الجزائر وفي المغرب الإسلامي منذ القرن الأول الهجري /السابع ميلادي عندما وصل إليها الإسلام على أيادي المسلمين الفاتحين الأوائل وكان المسجد هو النواة الأولى لهذه المؤسسات ثم ظهرت بالتدرج مؤسسات أخرى شاركته في رسالته وخففت عنه بعض الأعباء وهي الزوايا والأوقاف ومدارس العلمية.

تكاد المؤسسات الثقافية في العهد العثماني تخرج عن المسجد والمدرسة والزاوية والمكتبة ومعظم هذه المؤسسات كانت للتعليم اكثر مما كانت للثقافة بمفهومها اليوم ولم يكن من بين هذه المؤسسات جامعة او معهد على رغم ان بعض المساجد والمدارس والزوايا كانت تبث تعليما في مستوى العالي، بالإضافة إلى المكتبات العامة والخاصة ولكن أكبر مؤسسة كانت تغدي هذه المؤسسات جميعا هي الأوقاف.

المبحث الاول: الأوقاف والمساجد.

أولا: الأوقاف.

لقد تميزت الفترة العثمانية بالجزائر بتكاثر الأوقاف وانتشارها في مختلف أنحاء البلاد منذ أواخر القرن الخامس عشر ميلادي وحتى القرن التاسع عشر الميلادي، وتزايدت حتى أصبحت الأوقاف تشكل نسبة كبيرة من الممتلكات الزراعية الحضرية منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، ففي سنة 1750م تضاعفت عقود الأوقاف اثر عشرة مرة مقارنة بسنة 1600م، وهذا التزايد المستمر خلال هذه الفترة يمثل إحدى دورات المد الوقفي في تاريخ الجزائر، وفي هذه الفترة اتسع الوعاء الاقتصادي للأوقاف ، إضافة إلى زيادة الكثير من المزارع والبساتين والحدائق المحبسة، حيث اشتهرت كثير من المدن بكثرة أوقافها.[1]

1-تعريف الأوقاف:

أ-تعريف الوقف لغة:

الوقف أو الوقوف لغة هو خلاف الجلوس، وقف بالمكان (بفتح القاف) وقْفا بسكون القاف ووقوف، فهو واقف، والجمع وَقْف (بضم الواو، سكون القاف)، ويقال وقفت الدابة.

تقف وقوفا، ووقفتها أنا وقفاء ووقف الدابة جعلها تقف. [2]

وقد اشتهر إطلاق كلمة الوقف على اسم المفعول وهي الموقوف، ويعبر عن الوقف بـ "الحبس والتسبيل"

ب-تعريف الوقف اصطلاها: أما في الاصطلاح فالوقف تعريفات متعددة، فقد عرّفه الإمام أبو زهرة بأنه قطع التصرف في رقبة العين التي يدوم الانتفاع بها وصرف المنفعة لجهة الخير ويستوي في ذلك أن يجيء في صورة الوقف الخيري أو الأهلي. [1]

---

[1] بوزرينة سعيد، **سند بيداغوجي موجه لفائدة لطلبة السنة الثانية ليسانس مسار تاريخ عام السداسي الثاني**، محاضرات في مقياس: تاريخ الجزائر الثقافي الحديث والمعاصر، المركز الجامعي نور البشير، البيض-الجزائر، 2016-2017، ص19.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت-لبنان، المجلد15، 1988، ص173.

والوقف غالبا يقوم على فكرة التصدق ليبتغي به الإنسان فيما أتاه الله تعالى من مال أو نحوه ابتغاء الدار الآخرة، ولهذا يوصف الوقف بأنّه عقد من عقود التبرعات، ومن هذا المنطلق عرّفه الفقهاء بأنّه إعطاء عين لمن يستوفي منافعها والانتفاع بها أو الانتفاع فقط على وجه التأبيد أو على وجه التوقيت.

وللوقف نظام داخلي دقيق، فالوكيل (أو الناظر) هو المشرف الرئيسي عليه، وهو الذي يسهر على تطبيق ما جاء في الوقفية من شروط. وهو المسؤول على تنمية الوقف واستعماله في الوجوه المعينة، ولباشا (أو الباي في الأقاليم) هو الذي كان يعين الوكيل بناء على مواصفات معينة كالأخلاق الفاضلة والنزاهة والعلم والسمعة الطيبة بين الناس ومن الممكن تغيير الوكيل عندما تشتهر عنه أمور مخلة بنظام الوقف أو بالأخلاق العامة. [2]

وأنواع الوقف كثيرة وليس من السهل حصرها، فهناك من يوقف عقارا من أرض أو دكان أو دار أو نحو ذلك، وبعضهم كان يوقف عينا أو بئرا لأبناء السبيل، ويستعمل الوقف في أغراض كثيرة، منها العناية بالعلم والعلماء والطلبة الفقراء والعجزة واليتامى وأبناء السبيل، ومن أهم أغراضه العناية بالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة. [3]

2-أركان الوقف:

للوقف أربعة أركان هي:

أ-الواقف:

أو المحبس، وهو المالك للذات أو المنفعة وشرطه أهلية التصرف في المال، بمعنى أن يكون الواقف أهلاً للتبرع عاقلاً بالغًا، ويكون الموقف رشيدًا، فلا يصح الوقف من محجور عليه لسفه أو فلس أو غفلة.

---

[1] بوزرينة سعيد، **مرجع سبق ذكره**، ص20.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، ج1، 1998، ص229.

[3] **نفس المرجع السابق**، ص230.

ب–الموقوف:

وهو الشيء المراد وقفه ويشترط أن يكون معلوما ومملوكا للواقف.

ج–الموقوف عليه:

وهو الجهة المراد "الملك" لفائدتها، ويشترط أن يكون أهلا لتملك كالفقراء وطلبة العلم أو يكون أهلا للتمسيك كالقنطرة ورباط، لأنه يصرف في مصالحها.

د–الصيغة:

وهو اللفظ الذي يثبت بموجبه الوقف، كالتلفظ بأحد الألفاظ: وقفت، حبست، وسبلت، لكن لا تباع ولا توهب. [1]

3–أنواع الوقف

ينقسم الوقف باعتبار الجهة الأولى التي وقف عليها إلى عدة أنواع:

أ–الوقف الخيري (لعلم):

وهو الوقف على جهة بر وخير، مما يتعلق به مصالح جميع الناس في بلدان، وذلك كالمساجد والمدارس والأربطة والمستشفيات وغيرها. [2]

وتعتبر الكعبة المشرف أول وقف عام، قال تعالى: {إن **أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى** للعالمين}، [3] ويعد الرسول ﷺ أول من أنشأ الوقف في الإسلام وطبقه عمليا حيث أوقف ما لديه صدقة لله تعالى فقد تبث أنه ﷺ حينما دنا أجله تصدق بجميع ما عنده، فعن أبي

---

[1] بوسعيد عبد الرحمان، **مرجع سبق ذكره**، ص–ص10–11.

[2] **نفس المرجع السابق**، ص12.

[3] سورة آل عمران، الآية 96.

هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: {لا **يقتسم ورثتي دينارا ولا درهما، ما تركت بعد نفقتي نساني ومؤونتي عاملي فهو صدقة**}. [1]

كما يعتبر الرسول ﷺ أول من بنى مسجد في الإسلام «مسجد قباء»، ثم المسجد النبوي الذي بناه الرسول ﷺ بعد وصوله المدينة وأوقفه للعبادة وفي الحديث أنه ﷺ قال لبني النجار في الحائط الذي بنى فيه مسجده: {**يا بني النجار ثامنوني بحائطكم**» هدا، فقالوا: {لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله}. [2]

وقد روي عن عمرو بن الحارث رضي الله عنه، [3] أنه قال: «ما ترك النبي ﷺ إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا تركها صدقة». [4]

وعن سعد بن عبادة [5] أنه قال: «يا رسول الله إن أم سعد مانت فيل ينفع أن أتصدق عنها، فقال الرسول ﷺ: «نعم» فقال سعد: حائط وكدا صدقة». [6]

تلك بعض نماذج الوقف الخيري والأدلة العملية التي قدمها الرسول ﷺ في مجال الأوقاف والتي جعلت الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون لاغتنام الفرص للإنفاق في سبيل الله صدقة ووقفا.

ب–الوقف الأهلي (الخاص):

والمراد به الوقف على الأهل والدرية، بحيث يستحق نفع الموقوف من أراد الوقف برهم من أقاربه، سواء كان شخصا أم جماعة معينة، والوقف الأهلي وقف في ابتداء الأمر على نفس الواقف

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب نفقة القيم للوقف، رقم الحديث، 2677 ص562.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب وقف الأرض للمسجد، ص562.

(3) هو عمرو بن الحارث والمشهور أن اسمه عبد عوف بن الحارث، أخو جويرة زوج النبي ﷺ، انظر ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، بالمرجع السابق، ج4، ص216.

(4) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب بغلة البي ﷺ، حديث رقم: 2873، ص580.

(5) هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة قال عنه ﷺ: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل يعد بن عبادة، أنزر: ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج2، ص410

(6) بوسعيد عبد الرحمان، **مرجع سبق ذكره**، ص14.

أي شخص أو أشخاص، ولو جعل آخره لجهة خيرية، كان يقف على نفسه ثم على أولاد، ثم من بعدهم على عمل خيري.

ويعتبر الوقف الخاص ضمن ما رغب الإسلام فيه من الصدقة على الأقارب قال تعالى: {**يسئلونك مادا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم**}. [1]

والمستنبط من الآثار الواردة في أوقاف الصحابة، حقيقة الوقف الخاص فهو موجود بالتمثيل للوقف على النسل والدرية ويرى أبا بكر، [2] تصدق بداره على ولده وتصدق سعد بن أي وقاص، [3] بداره بالمدينة وبمصر على ولده، وتصدق الزبير بدوره – يعني أولاده–وقال للمردودة من بناته، يعني المطلقة– أن تسكن غير مضرة ولا مضر بها، فإن استغنت بزوج فليس لها حق. [4]

4–إسهامات الوقف:

أ–إسهام الدايات والبايات:

لقد ساهمت الدايات في الوقف إسهاما كبيرا في عدة مجالات والمتمثلة في مؤسسة الحرمين، بالإضافة إلى المساجد منها (المسجد العظم)، حيث إن العديد من الوثائق التي حبست من طرف الحكام، وفي سنة 1121هـ/1709م قام الداي محمد بقطاش،[5] بتأسيس زاوية سميت بزاوية الأشراف. [6]

---

[1] **سورة البقرة**، الآية 215.

[2] هو عبد الله ابن أبي قحافة عثمان، لقب بأبي بكر الصديق، وسمي الصديق لأنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ، له في الإسلام مواقف جليلة منها ثباته ليلة الإسراء، هجرته مع الرسول ﷺ، وملازمته في الغر وسائر الطريق، أنظر: السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، تحق: اسم الشماعي ومحمد العثماني، دار الأرقم، بيروت–لبنان، 2010، ص25.

[3] هو سعد بن مالك القرشي، الصحابي الجليل، أول من رمي سهم في الإسلام، أنظر: ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج2، ص421.

[4] بوسعيد عبد الرحمان، **مرجع سبق ذكره**، ص16.

[5] محمد بقطاش "بكداش"، هو داي الجزائر في الفترة الممتدة (1705–1707م)، من كبار العلماء والأولياء والأدباء، وجه عنايته لاسترجاع وهران.

[6] بوزرينة سعيد، **مرجع سبق ذكره**، ص22.

وأول من أوقف على العثمانيين خير الدين بربروس (924-940هـ/1518-1534م) وخادمه الذي أعتقه وهو صفر بن عبد الله الذي بنى الجامع سنة. 940هـ/1534م وسمي باسمه (الجامع صفر) ويطلق عليه حليا (الجامع سفير)، حيث أوقف عليه خير الدين، كما أسس الحاج حسن ميزومورطو (1100-1094هـ/1683-1689م) جامعا وأوقف عليه.

وأوقف حسن باشا على الجامع الجديد مصحفا عام 1199هـ/1794م، وهو عبارة عن مخطوط مستطيل الشكل، يتكون من 331 ورقة، كتب بخط الثلث، وبالمداد الأسود والذهبي على أرضية بيضاء، زخرف تجليد المصحف من الداخل والخارج وكذلك اللسان بزخارف نباتية بتقنية الضغط البارز تتمثل في الأرابسك أو الرقش العربي يغلب عليها اللون الذهبي. [1]

وفي قسنطينة أوقف صالح باي عدة عقارات ومباني وأراضي وبساتين على بعض المباني الدينية والمدنية التي أسسها كالجامع سيدي الكتاني سنة 1190هـ/1176م، ومدرسة بجانبه سنة 1189هـ/1775م، ومدرسة أخرى بجانب الجامع الأخضر سنة 1193هـ/1779م، والجسر الذي يتقدم باب القنطرة. [2]

وقد اشتهر بايلك الغرب الباي محمد بن عثمان الكبير (1192-1213هـ/1778-1799م)، الذي شيّدِ بمدينة معسكر جامع عين البيضاء ومدرسة وبني حمام الأدهم وأوقفه عليهما. [3]

ب-إسهام الجيش:

لقد اهتمت الجماعة العسكرية بعملية الوقف، وأسهمت ومست كل الرتب العسكرية من الأدنى إلى الأعلى، وأنَ التشكيلات العسكرية لأوجاق الجزائر، [4] تتشابه مع التشكيلات العثمانية،

---

[1] بوزرينة سعيد، **مرجع سبق ذكره**، ص23.

[2] دحدوح عبد القادر، **مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني**، مرجع سبق ذكره، ص138.

[3] **نفس المرجع السابق**، ص133.

[4] الأوجاق: كلمة تركية تعني الغرفة، ويسمى الأوجاق أيضا الأورتا ORTA وهي تعني عدد من الإنكشارية، أما الأوجاق في الجزائر فهي تعني الفرقة في الهيئة العسكرية: أنظر بوزرينة سعيد، **مرجع سبق ذكره**، ص24.

ويعود هذا التشابه لأن أغلبية التشكيلات كانت تجند في الأقاليم العثمانية وتحديدا من منطقة الأناضول.

ج–إسهام العلماء:

لقد لعب العلماء دورا هاما في الحياة العامة والخاصة، كما حظوا بمكانة مرموقة ومتميزة في الجزائر، ولهذا ارتبطت هذه الفئة بالسلطة الحاكمة لما لها من وزن اجتماعي وديني كبير والمتمثلة في حماية الدين والإرشاد. [1]

وفي العهد العثماني انصرف العلماء عن وظيفتهم المنوطة بهم حسب ما كتبه الدكتور سعد الله، حيث أصبح العالم يساهم في الأمور الإدارية والمالية وحتى العسكرية، بل وابتعدوا، وكان همهم الوحيد إرضاء الباشوات وكسب المال. [2]

ومن بين المناصب العليا للعلماء الذين يعيّنون فيها هو منصب الإفتاء، لأن هذا المنصب يتطلب معرفة دقيقة لأصول الدين والحديث، ومن الأسماء نذكر أحمد بن المرحوم محمد المبارك الفقيه

كان الوقف له دورا في عوائده، حيث استفاد منه الشيوخ والطلبة والمؤذنين وقراء الأحزاب، فأصبحوا يتقاضون مرتباتهم وإعانات نقدية، كما نشطت الحياة الدينية والتعليمية وبفضلهم شيدت المساجد والزوايا وملاجئ الأيتام، وبعض المؤسسات الدينية، إلى بروز عدد هام من العلماء والأئمة والقضاة وغيرهم، وهذا ما اكتسب المجتمع خاصة في مدينة الجزائر وما جاورها نفوذ أدبي وتأثير أخلاقي. [3]

د–إسهام جماعة الموظفون الإداريون:

يرتبط الحكم في أي دولة بهيئة إدارية مشرفة على شؤون الدولة وأجهزتها المختلفة.

---

[1] بوزرينة سعيد، **مرجع سبق ذكره**، ص24.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص390.

[3] **نفس المرجع السابق**، ص392.

امتاز النظام الإداري للجزائر، بالتسلسل التدريجي للمناصب الإدارية بالرغم من تغير الأنظمة الإدارية لتغير طبيعة الحكم التي مرت علية الجزائر، كالموظفون السامون: وهم: الخزناجي، [1] وبيت المالجي، [2] ووكيل الحرج، [3] والأغاء وخوجة الخيل، [4] كان هؤلاء الموظفون الكبار يشرفون بحكم مهامهم وصلاحياتهم على جماعات أخرى من الموظفين الصغار أو الموظفون العاديون الذي أحصرت أعمالهم في القيام يبعض الخدمات العامة ذات الطابع الاجتماعي، والاقتصادي والتي أصبحت بمرور الوقت تؤدي حسب تقاليد وعادات متوارثة.

هـ-إسهام النّساء:

لقد كانت العديد من أسماء النّساء اللواتي أوقفن أملاكهن خاصة في مجال الأوقاف، كأوقاف الأضرحة والزوايا وبشكل خاص أوقاف الحرمين الشريفين كما أسهمت المرأة في مؤسسات عديدة أخرى كالجامع الأعظم، وفي مختلف المؤسسات الدينية والثقافية. [5]

6-مؤسسات الوقف:

أ-المؤسسات الوقفية العامة:

I-مؤسسة الحرمين الشريفين:

---

[1] **الخزناجي**: المتصرف في خزينة الدولة كان يقوم بتسليم المداخيل ويشرف على الأنفاق ويراقب أمور السكة، يساعده في مهامه أمير السكة وبعض من الموظفين من الحضر واليهود.

[2] **بيت المالجي**: هو الموظف المشرف على مصلحة الأملاك والثروات التي تؤول إلى الدولة بعد موت أصحابها أو استبعادهم أو فقدانهم، بالإضافة إلى قيامه ببعض الأعمال الخيرية كتوزيع الصدقات على المستحقين والتكفل بدفن الفقراء المعدمين، يعين بنت المالجي من طرف الداي مباشرة، لمزيد من المعلومات أنظر: بوزرينة سعيد، **مرجع سبق ذكره**، ص25.

[3] **وكيل الحرج**: موظف سامي يراقب النشاط البحري ويشرف على أعمال الترسانة البحرية، وينظر في توزيع الغنائم، ويتصل في بعض الأحيان بقناصل ومبعوثي الدول الأوروبية.

[4] **خوجة الخيل**: ارتقى إلى مرتبة الموظفين الكبار بعد أن أصبح يدير أملاك البايلك ويرعى مواشي الدولة، ويتصل بفرسان المخزن وبالعشائر الحليفة أو المقيمة في أراضي البايلك بمناطق دار السلطان والتيطري للحصول على المواد الغذائية الضرورية لتموين الموظفين الأتراك والفرق العسكرية المعسكرة في مدينة الجزائر، وأنظر أيضا: سعيدوني ناصر الدين ومهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج4، 1984، ص17.

[5] بوزرينة سعيد، **مرجع سبق ذكره**، ص26.

كانت أموال أوقاف الحرمين الشريفين توجه إلى فقراء مكة والمدينة كل سنتين، عن طريق مبعوث شريف مكة أو بواسطة أمير ركب الحجاز، واضمان وصول المداخيل إلى الحرمين الشريفين وجدت قوائم مفصلة لأنواعها ترسل باسم داي الجزائري وتختم بختم الحرمين الشريفين دلالة على وصولها كاملة بعد عودة وفد الحجيج إلى الجزائر العثمانية وكذلك تقدم الإعانات والمساعدات لأهالي الحرمين الشريفين المقيمين بالجزائر، أو المارين بها بعد التأكد من صحة انتسابهم للأماكن المقدسة.[1]

وتجدر الإشارة إلى أن عائدات أوقاف الحرمين الشريفين لم تكن لتبعث أو ترسل كلها إلى أرض الحجاز، فقد كان الوكلاء ينتقون منها على فقراء العاصمة باستمرار حتى ظن أولئك الفقراء مع مرور الأيام أن جزء منها محبس عليهم لذلك أكثروا من التشكي عقب الاحتلال ومطالبة الحكومة الفرنسية بالإنفاق عليهم منها كذي قبل وبالإضافة إلى ذلك كانت تتولى حفظ الأمانات والإنفاق على ثلاث مساجد حنفية داخل مدينة الجزائر.[2]

II–مؤسسة سبل الخيرات:

اتعود تسميها إلى أوقاف الأحناف بسبل الخيرات لتقوم بإدارة المساجد والأوقاف الحنفية،[3] وتذكر بعض المصادر أن مؤسسها كان شعبان خوجة 999 هـ / 1583م.

حيث تدعمت مكانتها في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني حتى أصبحت تحتل المرتبة الثانية بعد مؤسسة الحرمين الشريين من حيث وفرة مداخيلها ونظرا لانتسابها إلى المذهب الحنفي من جهة ولغنى الطائفة التركية وجماعة الكراغلة التي كانت توقف أملاكها لفائدة المساجد الحنفية.

وقد أخدت هذه المؤسسة الحنفية صفة المؤسسة شبه رسمية مهمة الإشراف على المساجد التي كانت تتبع المذهب الحنفي في الجزائر،[4] لاسيما الجامع الجديد الذي بني سنة (1070هـ-2660

---

(1) بوسعيد عبد الرحمان، **الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اطار المدرسة الدكتورالية–الدين والمجتمع، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران–الجزائر، 2011-2012، ص31.

(2) بوسعيد عبد الرحمان، **مرجع سبق ذكره**، ص32.

(3) بن حموش مصطفى، **مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية**، دار الأمة، ب.ط، الجزائر، 2010، ص16.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص237.

م) بإذن من الجيش الانكشاري وبأموال مؤسسة سبل الخيرات، إضافة إلى عدة مساجد أخرى تكفلت المؤسسة بالإشراف عليها ورعايتها وهي جامع القايد صفر (940 هر 534م)، جامع السيدة (920 هـ _ 1564م) وجامع شعبان خوجة (1106 هـ 1694 م)، وجامع كتشاوة، (1106هـ_ 1694) الذي قام ابا حسن بإعادة بناته وتوسيعه سنة 1794، وجامع الشيارلية وزاويته، هذا مع العلم بأن مساجد المذهب الحنفي بالجزائر العاصمة كانت تقدر بأربعة عشرة مسجدا.[1]

III–مؤسسة أوقاف الجامع الكبير:

يعتبر الجامع الأعظم بمدينة الجزائر أحد المؤسسات التي لعبت دورا بارزا في الحياة الثقافية والدينية، حيث كانت تتصرف وتعنى بالمساجد المالكية، حيث نجد أن مدينة الجزائر تتوفر على عدد كبير من المساجد، ويذكر الأسير **هايدو** في كتابه الذي ظهر سنة 1612م أن مدينة الجزائر كانت تضم حوالي كانت تضم حوالي مئة مسجد، والمحلل لهذا النص يمكنه أن يفهم أن هذا العدد يشمل كذلك الزوايا، والمساجد الصغيرة عدا الجوامع.

وبعد الجامع الأعظم بمدينة الجزائر من أقدم الجوامع، إذ يعود تاريخ بناته إلى القرن 11م وتبلغ مساحته 2000 م تشتمل على محلقة تسمى بالجنينة، وبها فناء وعدد من الغرف، بدأ التحبيس به سنة 1540م، حيث كان رصيده حبسا واحدا ليرتفع بعد 60سنة أي سنة 1600 إلى 13 حبسا، وما بين سنة (1601م _ 1650م) وصل 33 حبسا، أما سنة 1700م نجده 48 حيسا، ليرتفع العدد سنة 1800م إلى 157 حبسا، أما ما بين 1800 إلى 1841م وصلت عدد أحباسه 550حيسا.[2]

وعرفت أوقاف الجامع الكبير بالكثرة والتنوع حيث أصبحت توفر مدخولا سنوي قدر بـ 120.00 فرنكا سنة 1837م تمثلت في 125 منزلا و3 أفران و39 بستانا و19 مزروعة بالإضافة إلى 107 أوقاف أخرى.

---

[1] بوسعيد عبد الرحمان، **مرجع سبق ذكره**، ص34.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص244.

وقد لعب هذا الجامع دورا رائدا في الحياة الثقافية والدينية إذا احتضن المجلس العلمي وغطى أنشطة الجوامع الأخرى، وكان رعاية شؤونه تتم من طرف ثلاثة وكلاء يشرف عليهم المفتي المالكي مباشرة وكان هؤلاء الوكلاء يتقاسمون الإشراف على أوقاف الجامع بحيث يتولى احدهم أوقاف المؤذنين بينما يهتم الآخر بأوقاف الحزابين، أما الثالث إليه المراقبة العامة، ولهذا كان يعرف بالوكيل الرئيسي.[1]

ويستقيد من مردود أوقاف الجامع الأعلم مجموعة كبيرة من الأشخاص تتألف أغلب الأحيان من إمامين و19 مدرس 18 مؤذن و8 حزابين و13 قيما مكلفا بإنارته والقيام ببعض الأعمال الضرورية، كما كانت تصرف بعض عوائد الجامع الكبير على أعمال الصيانة وتسيير الخدمات، وقد كانت عائلة قدورة متولية أوقاف الجامع الكبير مدة طويلة، واستطاع سعيد قدورة أن يبني زاوية ومدرسة من فائض أوقاف الجامع الكير،[2] فجاء في وثيقة بخط الشيخ حميدة العمالي قاضي الجزائر ثم مفتيا ناقلا عن خط علامة الجزائر الشيخ سيدي سعيد قدور، شيخ الافتاء وأمين أوقاف العاصمة المتوفى (سنة 1066 هـ_1656) ذكر فيها انه فضل بيده من ريع أوقاف الجامع الكبير شهر ربيع سنة (1053 هـ1642 م) مبلغ خمسة ألف دينارا، أنفقت في ترميم بعض الأمكنة من المسجد والكتاب الملحق، ودار العجزة من طلبة العلم واشترى كتبا لمكتبة الجامع.

وقد كانت مدينة الجزائر تظم عدد من المساجد بالإضافة إلى أربعة عشر مسجدا تابعا لأصحاب المذهب الحنفي، وهناك ما يزيد عن 92 مسجد خاصا بأتباع المذهب المالكي مما يجل مجموع مساجد مدينة الجزائر في أواخر العهد الثاني 106 مسجدا وذلك حسب بعض التقارير الفرنسية، فكل مسجد يمول من أوقافه الخاصة به.[3]

ب–المؤسسات الوقفية الخاصة:

I–مؤسسة أوقاف بيت المال: شكلت مؤسسة بيت المال أحد التقاليد العريقة للإدارة الإسلامية للجزائر والتي تدعمت في العهد العثماني، حيث كانت تشرف على الأحباس وتتولى إعانة أبناء

---

(1) بوسعيد عبد الرحمان، **مرجع سبق ذكره**، ص38.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص243.

(3) بوسعيد عبد الرحمان، **مرجع سبق ذكره**، ص–ص 38–39.

السبيل واليتامى والفقراء، وتتصرف في الغنائم التي تعود للدولة كما تهتم بشؤون الخراج وتحرص على شراء العتاد.[1]

كانت أيضا تهتم بإقامة المرافق العامة من طرق وجسور وتشيد أماكن للعبادة من مساجد وزوايا وتتولى تصفية الشركات، وتقوم بأعمال خيرية وإنسانية كدفن فقراء المسلمين وتوزيع الصدقات على حوالي مئة فقير كل يوم خميس، وتقدم الهدايا في كل عيد إلى الباشا وحاشيته وخدمه، وتدفع شهريا مبالغ مالية إلى خزانة الدولة.

يشرف على هذه المؤسسة أمين يسمى "بيت المالجي"، وأمانة بيت المال وظيفة رسمية إذ سميت بوظيفة الوكلاء السابقين، لذلك كان الباشا يعين أحد القضاة ليساعد أمين بيت المال في إدارة المؤسسة، هده المؤسسة كانت من جهة سياسية ومن جهة أخرى خيرية، فأصبح "بيت المالجي" يتمتع بصلاحيات متزايدة واستقلال حقيقي في إدارة شؤون بيت المال اذ هو ليس مجبرا على تقديم حسابات من عمله لموظفي البايلك وإنما هو مطالب فقط بتقديم مساهمة شهرية.

كما أوكلت لبيت المالجي مهمة التصرف في بعض الأحباس الأهلية التي توفى عنها لصحابها بدون عقب واستوجب إرجاعها إلى المؤسسات الدينية الموقوفة عليها وذلك حتى تتم الإجراءات المتعلقة بتنفيذ مضمون أحكام الوقف والعمل بوصية صاحب الوقف.[2]

II-أوقاف الأولياء والإشراف:

حضي أغلب الأولياء بأوقاف خصصت للرعاية، والصيانة والإنفاق على أضرحتهم وقد تكاثر عدد الأولياء وتضخمت عائدات أوقافهم لاسيما في مطلع القرن التاسع عشر ميلادي حتى أصبحت مدينة الجزائر وحدها تضم أملاكا موقوفة على تسعة عشر وليا.

تحظى بشعبية لدى السكان، وكان هدا النمو والتكاثر في أوقاف الأولياء ناتجا عن تشجيع الحكام ورعايتهم بدافع الورع والتقوى والتقرب إلى الله تعالى أو سعيا للحصول على تأييد السكان، قد اعتمد العثمانيين على سلطة المرابط القائد أو الشيخ ليكون حكمهم للبلاد غير مباشر بل بواسطة

---

[1] بن حموش مصطفى، **مرجع سبق ذكره**، ص18.

[2] بوسعيد عبد الرحمان، **مرجع سبق ذكره**، ص40.

أهلها أنفسهم، وهذا يعني إن العثمانيون حاولوا خلق إطار للتواصل مع الأهالي عن طريق زعماء القبائل والسلطة الروحية.

لدى في بعض المناطق الداي هو من كان يعين المرابط الذي يحكم، مثل مدينة جيجل التي بها المرابط ين عن طريق مرسوم كمرسوم 1682م. [1]

ونتيجة لظهور هده السلطة الروحية وجدت قبائل ضالتها لإستتباب الأمن فحمدان خوجة،[2] يقول:» ...إن هده القبائل وضعت ثقتها التامة بالمرابطين...».

أما الزهار، فيذكر إن سكان تلك الجبال كلهم لا يخضعون لحكم الأغا والياي بل يتصرف فيهم المرابط، لأن المرابط وشيخ الجماعة ترتكز سلطتهم على 6656 يعني الاحترام والوقار والوازع الديني والأخلاقي، عكس سلطة القياد التي مثله مثل السلطة المركزية.

وارتبط وجود المرابط بظهور التصوف الذي ظهر في شكل طرق صوفية القرن 9هـ/15م خاصة بعد بروز الطريقة القادرية، مما يبرز أن التصوف قد سبق التواجد العثماني في الجزائر.[3]

ومند القرن 15م، وبعد تأزم الأوضاع السياسية وضعف الإدارة المركزية وكثرة المظالم عرفت الحركة الصوفية تطور مفاجئا، فأسس أتباع المرابطين الزوايا بالأرياف التي سهلت من انتشار الطرق ليبرز التصوف بدلك بداية القرن 16م بشكل واضح.

فتأتي في مقدمة أوقاف الأولياء أوقاف سيدي عبد الرحمان الثعالبي، التي كانت تقدر في أواخر العهد العثماني بالجزائر بـ 82 وقفا ، ويلاحظ أن أوقاف سيدي عبد الرحمان الثعالبي كانت لا تتجاوز في بداية القرن 12م 11وقفا، تم ما تم ما لبثت أن تزايدت بعدما اكتسب صاحبها شعبية وصيتا داخل المدنية وخارجها منها ما كان يأتي من خارج الجزائر بدليل أن تونس كانت ترسل كل

---

[1] بوسعيد عبد الرحمان، **مرجع سبق ذكره**، ص41.

[2] هو حمدان خوجة، ولد عام 1775م بالجزائر، عرف باطلاعه الواسع في شتى العلوم شغل عدة مناصب ومديرا لمجلس الديوان سنة 1830 أول من أنشأ حزب سياسي تحت اسم لجنة المغاربة فضح فيه التصرفات والتجاوزات الفرنسية في حق الجزائريين، من أهم مؤلفاته المرآة، أنظر: مسعود كواتي محمد الشريف سيدي موسى أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، منشورات الحضارة، الجزائر، 2006، ص120.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص187.

سنة حمولة زيت لفائدة الضريح ومردود هده الأوقاف يوزع قسم منها على فقراء المدينة كل يوم خميس بنسبة فرنك إلى ثلاث فرنكات لكل فرد، وقد تطلبت كل هده الأوقاف تشكيل جهاز إداري يسهل على تسييرها يتكون من شيخ الحضرة ووكيل وشاوش وثلاث أئمة. وثلاث حزابين وأربعة (قراء)، وأما عن الأشراف فكانوا من الفئات المتميزة في المجتمع ولهم أوقاف خاصة، وهي أيضا من الفئات التي تتعاطف مع العثمانيين، فقد كان للأشراف في الجزائر نقابة خاصة ونقيب يسمى (نقيب الأشراف) يتمتع بمكانة مرموقة لدى رجال الدولة والمجتمع، ومن أشهر العائلات التي تولت هده النقابة في الجزائر عائلة المرتضي وعائلة الزهار وكان لأوقاف الأشراف وكيل خاص أيضا وليس هو النقيب المذكور، لان الثقابة منصب معنوي أما الوكالة فقد كانت منصبا إداريا.[1]

فجماعة الأشراف تتكون من مئتين إلى ثلاث مئة أسرة، حظيت بتقدير العامة ورعاية الحكام حيث بنى لهم محمد بكداش باشا سنة (1112 هـ 1709 م) زاوية خاصة بهم ونصت وقفية لهم على ألا يقيم فيها سوى الشريف غير المتزوج ولا يتولى فيها الإمامة والدرس والخطبة إلا الشريف، عرفت بزاوية الأشراف وأوقفت لصالحها أحباس كثيرة.[2]

III–مؤسسة أوقاف أهل الأندلس:

اتخذ الألدلسيون من مدن إيالة الجزائر مقرا لهم، وتركوا عليها بصمات ظاهرة أينما حلّو فيها، فأحيوا مدينة شرشال، وعمّرو كلا من التقليعة والبليدة، وزودوا مدينة الجزائر بالمياه في حين لم تكن تعتمد إلا على الآبار والصهاريج، إضافة إلى هذا النشاط الحضاري فقد بادر الأندلسيين من أغنياء الجالية الذين تبرعوا بأملاكهم لإخوانهم الفقراء منذ بدايات الهجرات الأندلسية إلى السواحل الجزائرية اثر سقوط حواضر الأندلس وإصدار قرار الطرد الجماعي (1016 هـ-1609م).[3]

وبتقادم الزمن استقر مهاجروا الأندلس في المدن الساحلية وأخد بعضهم يساهم في الحروب البحرية ضد الاسبان، كما أن بعضهم قد مارس التجارة، التعليم والصنائع المختلفة، لكن هذه الأعمال لم تمنع من شعورهم بالحاجة إلى التضامن كفئة خاصة لذلك أسسوا بتشجيع من السلطة التي

---

(1) بوسعيد عبد الرحمان، **مرجع سبق ذكره**، ص43.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص241.

(3) بن حموش مصطفى، **مرجع سبق ذكره**، ص17.

كانت تتعاطف معهم، عدة مؤسسات خيرية يهدفون من ورائها التضامن فيما بينهم من جهة وإلى خدمة فقرائهم من جهة أخرى.[1]

وقد خصَّ كثير منهم جامع الأندلس والزاوية الملحقة به الذي أسّس في المنتصف الأول من القرن السادس عشر 1633م، بكثير من الهيات، الأوقاف حتى أصبحت هذ الأوقاف توفر دخلا وافرا ومردودا سنويا محترما مما استوجب إدارة خاصة تتولى استخلاصه وتوزيع فائضه على المحتاجين من أهل الأندلس،[2] وقد كان إنشاء المدرسة والمسجد من طرف الأندلسيين حافزا على تخصيص المزيد من الأوقاف لينفق من مردودها على القائمين بأمور هاتين المؤسستين الخيريتين، اذ نظمت أوقاف الأندلس وأصبح لها وكيل يقوم بشؤونها يعرف بوكيل الأندلس.[3]

لقد تعززت مؤسسة أوقاف الأندلس بتأسيس زاوية الأندلسيين، ثم تكاثرت مشاريعهم الخيرية ، وشكل الأندلسيين جمعية أندلسية مكونة من ستة أشخاص كلهم من المهاجرين الأتدلسيين، وعينوا وكيلا لذلك هو الشيخ محمد الأبلي،[4] فكانوا يتمتعون بمكانة خاصة في المجتمع الجزائري وخصوصا عند الأتراك، حتى أن بعضهم كان يعيّن على أوقاف حنفية عثمانية مثل حميدة الأندلسي الذي كان عضو في لجنة إدارة سبل الخيرات وسليمان الكبابطي الذي عينه خضر باشا على أوقاف جامعة، وتتكون أوقاف هذه المؤسسة من حيث نوعيتها إلى صنفين أوقاف خاصة بهم توجد بمدينة الجزائر وضواحيها كانت تضم في سنتي (1809م-1810م) حسب ما ورد في سجلات البايلك 35 حانوتا و18 دارا و07 بساتين، أما الصنف الثاني من أوقاف الأندلسيين فهي الأوقاف التي يشترك فيها فقراء الأندلس مع الحرمين الشريفين أو مع عامة الناس فهي تتميز بكثرة عدده وتنوع أصنافها تشتمل على 35 حانوتا و26 منزلا، إضافة إلى وجود عدد من الأحراش والمخازن.

---

(1) القشاعي فلة موساوي، **أوقاف أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني**، مجلة دراسات إنسانية، ماي 2001، الجزائر، ص169.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص240.

(3) القشاعي فلة موساوي، **مرجع سبق ذكره**، ص170.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص240.

قد كان مردود هذه الأوقاف المشتركة بين الحرمين والأندلس عام 1733م وكان يخصص للإنفاق على المكلفين بالتعليم والشعائر الدينية بالإضافة إلى ما كان يرصد لسد حاجيات أبناء السبيل والفقراء.

IV-أوقاف الجند والثكنات والمرافق العامة:

أوقفت عدة أملاك داخل مدينة الجزائر وخارجها للإنفاق على المعوزين من الجند وصيانة بعض الثكنات والحصون والأبراج، فضلا عن العديد من المرافق العامة كالطرق والعيون والحنايا والسواقي، كل هذه المرافق كانت تحظى بالعديد من الأوقاف.

وحصص لكل مصلحة من هذه المرافق العامة وكيل خاص يرعى أوقافها ويتعهد بشؤونها مثل وكيل العيون والسواقي الذي كان مدخوله السنوي من الأوقاف التي يشرف عليها يبلغ ب 150 ألف في السنوات الأولى من الاحتلال.

إضافة إلى أوقاف المرافق العامة، هناك أوقاف الثكنات التي كان عددها في أواخر العهد العثماني بمدينة الجزائر سبع ثكنات، بحيث ترجع مداخيلها إلى الجيش المقيم في غرفها وكانت تأوي ما بين 200 و300 رجل في غرف صغيرة وما بين 400 و600 في غرف كبيرة، فيعود أصل هذه الأوقاف إلى الجنود الذين ترقوا في رتبهم العسكرية حيث ارتبطت أهمية العقار الموقوف بأهمية الارتقاء في الرتبة أو المنصب الإداري الذي يحوزه الواقف، ولكن الجنود يحصلون على أجورهم من الباشا فقد كانت مداخيل الأوقاف تصرف في أشياء ترفيهية مثل الهدايا التي يقدمها وكيل الوقف لجنود الغرف الوقفية وسميت أوقاف الجند واللكنات بمؤسسة الاوجاق.[1]

ويصر كثير من المؤرخين على تسمية مؤسسة المرافق العامة بالمؤسسة غير الدينية نظرا لدورها في مدينة الجزائر غير أن نشأتها كانت بدوافع دينية بإرواء عابري السبيل ورعايتهم حيث تقوم بصيانة الطرق والعيون، حفر السواقي، قد جرى العرف على ذلك حتى سميت العيون الموجودة في الأماكن العامة "السبيل" ولا يزال هذا المصطلح يستعمل حتى اليوم للدلالة على المنافع العامة.[2]

---

[1] بوسعيد عبد الرحمان، **مرجع سبق ذكره**، ص45.

[2] **نفس المرجع السابق**، ص46.

فتجدر الإشارة إلى أن الوقف بالجزائر خلال العهد العثماني بالجزائر لم يقتصر على المؤسسات الدينية، حيث كان للوزراء وكتاب الخوجات وكبار الضباط عدة أوقاف على مجموعة من المنشآت، فأنشأ رضوان خوجة قائد الدار زاوية له في قسنطينة وأوقف عليها سنة 1220م، كما اشترك النساء أي قمر بنت القائد محمد باي، التي أوقفت على جامع أخيها الباشا بعد وفاته.[1]

7-الأدلة على مشروعية الوقف:

استند العلماء في تأصيلهم لشرعية الوقف إلى أدلة كثيرة من القرآن الكريم والنبوية والإجماع، وهذه الأدلة حتى وإن كانت لا تدل على موضوع الوقف بصفة مباشرة فإنها تحث على أعمال البر والخير. [2]

أ-من القرآن الكريم:

لقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على عمل خير وإعطاء الصدقات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى كقوله تعالى: {لن **تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم**}، [3] فالوقف يدخل في الإنفاق عموما، وكانت هذه الآية سبب في وقف أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه، [4] أحب أمواله لديه بيرحاء. [5]

وقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض}، [6] فقد فهم المسلمون معنى هدا التوجيه الإلهي وحرصوا أن ينالوا البر من خلال بدل الطيب من المال

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص236.

[2] بوسعيد عبد الرحمان، **مرجع سبق ذكره**، ص7.

[3] **سورة آل عمران**، الآية 92.

[4] هو زيد بن سهل بن الأسود النجاري. قال عنه رسول الله ﷺ «صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة»، وأحد الثقباء الإثني عشر ليلة العقبة، ت 34هـ، انظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء تقد: سيد حسن العقياني، دار التوفيقية، مصر، ج3، ص 7.

[5] **بيرحاء**: موضع قبل المسجد النبوي الشريف يعرف بقصر بني جديلة كان رسول الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، انظر: ابن حجر العسقلاني، **هدي الباري في شرح صحيح البخاري**، دار مصر، مصر، 2001، ج5، ص91.

[6] **سورة البقرة**، الآية 268.

في انتظار ما هو أفضل وهو مرضاة الله، وقوله تعالى: {من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة}. [1]

ب–من السنة النبوية:

أثرت عن الرسول ﷺ عدة أحاديث تشير إلى مدى أهمية الوقف منها ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، [2] أن النبي ﷺ قال: {اذا مات الإنسان، انقطع عمله إلا من ثلاث، إلا بصدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له}. [3]

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، [4] أن الرسول ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، [5] فقال: {من يشتري بئر رومة فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة}. [6]

فاشتريتها من صلب مالي، وهذا يؤكد على الأصل في جواز الوقف، وأهميته لما عرض الرسول ﷺ على الصحابة بوقف بئر رومة ولما وعد بالثواب على ذلك في الجنة.

وعن أبِي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: {من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا واحتسابا وتصديقا بوعده، فإن شبعه وريعه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة}. [7]

---

[1] **سورة البقرة**، الآية 245.

[2] هو الصحابي أبو هريرة، وقد ورد اختلاف في اسمه والأشهر عبد الرحمان بن صخر. وهو من الأزد ثم من دوس، كان من حفاظ الصحابة روى عنه نحو ثمان مئة رجل أو أكثر من أهل العلم، أنظر: ابن كثير البداية والنهاية، دار المنار، ط1، 2001، ج7، ص97.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم: 1631، ص1255.

[4] عثمان بن عفان: بهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وهو دو النورين وأمير المؤمنين أسلم في أول الإسلام، وهو أحد العشرة الدين شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة قبل سنة 35هـ، انظر، لابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، المكتبة التوفيقية، القاهرة–مصر، ج3، ص537.

[5] رومة: بئر في عقيق المدينة، أنظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار الفكر، يروت–لبنان، مجلد 1، 399.

[6] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الوصية، باب ما بلحق الانسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم 1631، ص692.

[7] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب من احتبس فرسا في سبيل الله حديث رقم: 1753، دار الاعتصام، القاهرة–مصر، ج2، ص45.

ج-من الإجماع:

قال القرطبي، [1] إجماع الصحابة على جواز الوقف فقال: «إن مسألة إجماع من الصحابة وذلك أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وعائشة وفاطمة وعمر بن العاص وبن الزبير وجابر رضي الله عنهم كلهم وقفوا الأوقاف، وأوقافهم بمكة والمدينة مشهورة». [2]

ثانيا: المساجد:

1-تعريف المساجد:

إنَ الجوامع والمساجد خلال العهد العثماني أخذت تسميات متعددة، منها:

-التوزيع الحرفي لعب دورا في تسمية المساجد حيث أخذ الكثير منها أسماء الحرفيين الذين يرتادونها وذلك مثل مساجد الخياطين والشماعين والحلفاويين والكبابطية والشواش.

-أمَا العدد الأكبر من المساجد فقد أخذت أسماء أشخاص يغلب الظن عليهم أنهم فقهاء وأئمة ورجال صالحون ونساء صالحات أو المؤسسون لها متل مساجد سيدي عبد الله والسيدة وعبد الرحيم والمرابطة وبن علي وعلي بتشين وعبدي باشا والقائد صفر وغيرهم.

-ويأتي في الدرجة الثالثة تسميات للمساجد بحسب موقعها المتميز في المدينة كأن تكون بقرب عين ماء مشهورة أو عند منحدر حاد أو عند سور المدينة أو بقرب بوابة من بوابات المدينة، ومن أمثلة ذلك نجد مساجد قاع السور والبراني، الحمّامات وباب الدزيرة والرّحبة القديمة والعين الحمراء وعين العطش والباب الجديد والقصبة وباب السوق.... إلخ. [3]

---

[1] هو محمد بن أحمد الأنصاري المالكي القرطبي، إمام من أئمة التفسير، له مؤلفات في ذلك أبرزها: الجامع لأحكام القرآن، توفي سنة 681، أنظر جلال الدين السيوطى، **طبقات المفسرين**، وزارة الأوقاف السعودية، السعودية، 2014.، ص92.

[2] بوسعيد عبد الرحمان، **مرجع سبق ذكره**، ص10.

[3] بوزرينة سعيد، **مرجع سبق ذكره**، ص35.

أ-تعريف المسجد لغة:

إنَ التحديد اللغوي للكلمة هو من فعل سجد خضع وانحنى إلى الأرض، وسجد يسجد سجودا أي وضع جبهته على الأرض، والمسجد بكسر الميم هي الحصير الصغير.

أمَا ابن المنظور، فيقول، بأن فعل سجد بمعنى خضع، ومنه سجود الصلاة، ولا خضوع أعظم منها.

ب-تعريف المسجد شرعا:

هو كل موضع من الأرض، لقوله ﷺ: "جعلت لي الأرض مسجدا".

ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه، لقوله ﷺ: "فأقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد"، اشتق اسم المكان منه فقيل " مسجد " ولم يقولوا "مركع".

والمسجد جمعه مساجد وهو عموما كل مكان يسجد ويتعبد فيه الإنسان، واحدا تقام فيه الصلوات الخمسة فقط ويدعى بالمسجد، بينما الآخر تقام فيه الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والأعياد ويسمى بالمسجد الجامع أو الجامع. [1]

2-عمران المساجد:

تميزت الفترة العثمانية في الجزائر بالفن المعماري متعدد الألوان وقد عرف فن العمارة التأثيرات الأندلسية والتأثيرات التركية وأخيرا تأثيرات النهضة الأوربية وتظهر هذه التأثيرات على المآذن وفي شكل قاعات الصلاة والمحراب والمنابر وفي التغطية، وقد اكتمل فن الزخرفة في الجزائر نضجا وتطورا أثناء الخلافة العثمانية التي اتصفت بتعدد الهجرات من الأندلس ودخول العناصر الأوربية إلى المجال الفني بعد انتسابهم إلى الإسلام والعمل في مجالات العمارة والصناعة والإدارة.[2]

---

[1] بوزرينة سعيد، **مرجع سبق ذكره**، ص36.

[2] فرحي فتيحة، **المساجد والعمران في الجزائر خلال العهد العثماني**، مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة-الجزائر، 2016-2017، ص55.

وتتمثل العمارة الجزائرية في المساجد ونحوها (الزوايا والقبات) والقلاع والجسور والثكنات العسكرية والدور والقصور وقد استمد البناة طريقتهم فيها من حضاراتهم القديمة التي ساعدت أيام الأغالبة والحفصيين والزبانيين كما استمدوها من حضارة الأندلس الذين جلبوا معهم صناعاتهم وفن البناء فكان تأثيرهم عظيما ولاسيما في القلاع والقصور، أما الأثر العثماني قد ظهر خصوصا في بعض المساجد والقلاع والثكنات وكانت البيئة وراء طريقة البناء في الجزائر فالحرارة والبرودة من جهة وعدم ظهور المرأة التي املت كثيرا من الأساليب في بناء المنازل والمساجد والزوايا فقد تحدث الكتاب الأوربي عن كيفية البناء وإبراز ما قام يه الأمراء والبناء.[1]

والمساجد كوحدة معمارية متكاملة تتكون عادة من:

أ–قاعة الصلاة: تختلف التركيبة المعمارية لقاعة الصلاة بين العصر الإسلامي الوسيط والعصر الإسلامي الحديث حيث تتكون قاعة الصلاة في المساجد التي تعود إلى العصر الإسلامي الوسيط رباعية الشكل يمتاز بعضها بالكبر تأخذ نصف مساحة المسجد،[2] ويمتاز البعض الآخر بالعرض وما دام المسجد في المدينة الإسلامية في العصر الوسيط هو نواتها فقد امتاز بكبر القاعة المقسمة إلى أساكيب وبلاطات ترتكز على أعمدة أو دعائم مربعة أي مضلمة تحمل بينها أقواس أو عقود منكسرة مثل ما هو الشأن في بعض مساجد الجزائر مثل مسجد الجيش ومسجد سيدي رمضان وهذا النوع نجده بكثرة في المشرق.

أما قاعة الصلاة التي تعود إلى الفترة الحديثة فيمكن تقسيمها إلى قسمين قسم تقليدي محلى مثل مسجد سيدي أحمد وجامع البراني بالجزائر وقسم حديث يمتاز بقاعة مربعة تعلوها قبة تنتهي بعقود زوايا النصف كروية وهذه القاعات عادة تكون صغيرة نسبيا ومن أجل تفادي الضيق في قاعة الصلاة أضيفت حبيبات على الأساكيب والبلاطات الجانبية، وتكون القبة في مثل هذه المساجد المحمولة على أعمدة من رخام، ومن بين المساجد التي بها هذا التخطيط في قاعة الصلاة مسجد على بتشين ومسجد عبد الرحمان الثعالبي وسجد الداي.[3]

---

[1] فويال سعاد، **المساجد الأثرية لمدينة الجزائر**، دار المعرفة، ب.ط، الجزائر، 2010، ص31.

[2] فرحي فتيحة، **مرجع سبق ذكره**، ص56.

[3] فويال سعاد، **مرجع سبق ذكره**، ص31.

ب–الصحف: يمكن أن نحدد مكان الصحف في مساجد العصر الاسلامي الوسيط بغرب قاعدة الصلاة مثل جامع كتشاوة ومسجد الجيش.[1]

ج–المحراب: وهر صدر البيت او الغرفة التجويف الذي يحدد اتجاه القبلة حيث ينفرد فيه الامام فيوفر صفا كاملا للمصلين ينقسم المحراب الى قسمين علوي وسفلي يكون القسم العلوي مكلا بقبّة أو بنصفها فعندما يكون مضلعا يكون مغطى بقبة (محراب الجامع الكبير) وبما أن المسلم يولي وجهه شطر البيت الحرام فانه يوجه محراب المسجد نحو القبلة فكانت بالجهة الجنوبية الشرقية.[2]

د–المفارة: أو المئذنة وتعرف أيضا بالصومعة وهي المكان الذي يعلوه المنادي للصلاة تمتاز المئذنة المحلية في الجزائر بشكلها الرباعي بل نجد حتى بعض المساجد التي تعود الى العصر الحديث متأثرة بالمساجد الأولى فمئذنة علي تبشين ومئذنة مسجد سيدي محمد عبد الرحمان الثعالبي رباعية الشكل، بينما أصبحت المساجد المتأخرة التي تعود الى الخلافة الثمانية في الجزائر تتخذ شكلا ثمانيا مثل مئذنة مسجد الداي ومئذنة مسجد الجيش ومئذنة.

هـ–الدكة: هي المكان الذي يؤدي منه الأذان ومنه تعاد تكبيرات الإمام أثناء صلاة الجمعة والعيدين وتنصب الدكة في مؤخرة المسجد.[3]

و–السدة: نظرا لانعدام المساحات الجانبية التي تسمح بتوسيع قاعات الصلاة فقد استخدمت السدة التي كانت تصنع من الخشب ثم أصبحت تبنى وبالتالي جاءت السدة كحل توفيقي ليتمم الجائب الوظيفي الذي تتسع به قاعة الصلاة.[4]

ي–المحلات: من بين الاضافات التي ألحقت بالمسجد في العصر الحديث، المحلات التجارية التي أصبحت تشيد تحت قاعة الصلاة، تذهب فوائدها للإنفاق على القائمين على المسجد وعلى ترميم

---

[1] فرحي فتيحة، **مرجع سبق ذكره**، ص56.

[2] فويال سعاد، **مرجع سبق ذكره**، ص30.

[3] فرحي فتيحة، **مرجع سبق ذكره**، ص57.

[4] فويال سعاد، **مرجع سبق ذكره**، ص31.

مختلف أجزائه، وهذه المحلات كون موفقة على المساجد بالإضافة إلى الأوقاف الأخرى القريبة او البعيدة عنها.

ع–بيت الإمام: وهو مخصص لاستراحة الإمام ويعتبر كخلوة يحضر فيها خطبة الجمعة ويستقبل فيها من أراد أن يستفسر في أمور الدين أو كل مشكل اجتماعي بالتراضي.

بالإضافة إلى هذه الأقسام نجد أقساما أخرى في مختلف المساجد الجامعة فقط، مثل مساحة الجنائز، المكتبة، وقاعة الدروس والمخازن والساعة الشمسية.

3–نماذج من المساجد العثمانية بالجزائر:

أ–جامع كتشاوة:

من أشهر الجوامع الجزائرية بني في العهد العثماني سنة 1021هـ/1612م، وهو يمثل تحفة معمارية تركية نادرة وفريدة من نوعاها وقد كان هذا البناء موجودا منذ القرن ال اربع عشر وهو موجود الآن في ساحة ابن باديس.

سمي بكتشاوة تسمية إلى السوق التي كانت تقام في الساحة المجاورة وكان الأتراك يطلقون عليها إسم سوق المعز.[1]

توجد في المتحف الوطني للأثار القديمة لوحة تذكارية تبين تاريخ تجديد هذا المسجد من طرف حسن باشا وهي لوحة مستطيلة الشكل كتبت باللغة العربية، خط الثلث وبأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص، جاءت الكتابة على شكل أبيات شعرية في سطرين داخل معينات.

كان مخطط الجامع ذو شكل مربع فطوله 23.50 متر وعرضه 18.70متر وقد كان مظهره آنذاك عبارة عن قبة واسع ذات ثمانية جوانب تحيط بها من ثلاث جهات أروقة بسيطة وتقوم بيت الصلاة على ستة عشر عمود ويوجد منها ستة محفوظة في المتحف الوطني للأثار القديمة،[2] كما

---

[1] فرحي فتيحة، **مرجع سبق ذكره**، ص: ص58:41

[2] الحاج سعيد محمد، **مساجد القصبة في العهد العثماني–تاريخها ودورها وعمارتها**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص: الحضارة الإسلامية، قسم اللغة والحضارة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، الجزائر، 2014–2015، ص–ص 64–77.

توجد فيه سدة وقد ترك الزياني هذه السدة فقال: وامامه كشك يجلس به المؤذن وأهل الألحان والقرآن وملة وضيفة بالمسجد كالمؤقت وال اروي لحديث الانصات، وأما المنبر فحدث عن حسنه في فن النقش الذي يزين جوانبه من أصناف الرخام الرفيع.

ب–الجامع البارني (الجامع الخارجي):

أطلق عليه الفرنسيين هذا الإسم للتفريق بين جامع القصبة الداخلي ومسجد القصبة الخارجي البراني، أي حصن القصبة أو القلعة، وغالبا ما المجموعات البرانية هي التي تصلي في هذا الجامع لأنها لا تستطيع الدخول للصلاة داخل المسجد القلعة لظروف أمنية ومن هذه المجموعات نجد البساكرة والأغواطيون والمزابيون والقبائل.[1]

أما بالنسبة لتأسيسه فقد اختلفت الأقاويل حول تأسيسه بقول دوفو، انه تأسس سنة 1064هـ)1653م/1654م (وهو مسجد صغير وأنيق يقع أمام باب القصبة الجديد الذي يمكن أنه بنى قبل هذه الفترة حسب عقود الملكية التي تحصل عليها ويستدل بوضع مخطط صغير يصف فيه شكل المسجد وحدوده، وهذا المسجد قد بني بعد إنتهاء عملية القصبة ولقد كان مخصصا للجيش والعمال اللذين كانوا يشتغلون داخل الحصن.[2]

جدد الجامع من طرف آخر دايات الجزائر وهو حسين باشا)1817م–1830م (، وفيما يخص وصفه فيظهر هذا الجامع من الخارج على شكل مستطيل له أربع واجهات الواجهة الغربية وهي ال رئيسية، ويوجد بها المدخل الرئيسي للمسجد والذي يؤدي مباشرة إلى قاعة الصلاة، وأما الواجهة الجنوبية فيتوسطها مدخل ثانوي بينما الواجهة الشرقية تحيط بها بنايات حديثة وفي جزء من هذه الواجهة نجد المئذنة ذات الشكل المثمن.[3]

وأما بيت الصلاة فنجد فيها اثني عشر عمودا وأما سقف بيت الصلاة فهو مسطح ومكون من أوتاد خشبية مستديرة.

---

[1] فرحي فتيحة، **مرجع سبق ذكره**، ص42.

[2] الحاج سعيد محمد، **مرجع سبق ذكره**، ص87.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص59.

وبعد دخول الاستعمار الفرنسي سلم المسجد للسلطات العسكرية حيث جعل مرقدا للجنوب وفي سنة 1839م أحصاه سلاح الهندسة العسكرية إلى أملاك الدولة التي سلمت بدورها إلى إدارة الشؤون الخارجية الداخلية وثم منحه إلى الديانة الكاثوليكية وأصبح يحمل إسم كنيسة " سانتكروا" أو الصليب المقدس.[1]

ج–جامع الداي:

يتواجد ضمن الوحدات المعمارية لقصبة الجزائر يحده نادي الجيش وحمام الجيش من الجنوب ومسجد الجيش من الغرب والمطابخ من الشمال وقصر الآغا، سمي نسبة إلى مؤسسه حسن باشا آخر دايات الجزائر عما يعرف بمسجد القصبة الداخلي للتفريق بينه وبين مسجد الحي الخارجي (مسجد البراني).[2]

أسسه حسن خوجة بن عقيل وقيل ابن حسن أخر دايات الجزائر،[3] من الجامع وقد وجدت لوحتان رمليتان تعطيان بعض المعلمات عنه كتبت الأولى باللغة العربية بخط النسخ باستعمال أسلوب الحفر الغائر المملوءة بالرصاص، جاءت على شكل أبيات شعرية داخل إطارات تشكل معينات ذات خطوط منحنية يحيط بها شريط زخرفي، وقد وجدت هذه اللوحة فوق مدخل البيت الأيسر لجامع الداي بالقلعة.[4]

أما اللوحة الثانية فقد وجدت في جامع الداي بالقلعة فوق مدخل باب الأيمن وقد كتبت باللغة العربية وبخط النسخ مثل الكتابة الأولى.

يحتل الجامع مساحة تقدر بـ 317.80 متر، له مدخل بالجهة الجنوبية الغربية وبفتح هذا الباب على سلم ينتهي عند سقيفة تعلوها قبة ذات ثمانية أضلاع وخلف السقيفة قاعة رباعية الشكل يقع شمالها المدخل الرئيسي، ويتوسط قاعة الصلاة المربعة الشكل قبة ذات ثمانية أضلاع ترتكز على

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص60.

(2) الحاج سعيد محمد، **مرجع سبق ذكره**، ص87.

(3) فرحي فتيحة، **مرجع سبق ذكره**، ص43.

(4) الحاج سعيد محمد، **مرجع سبق ذكره**، ص91.

32 عمودا من الرخام، والمح ارب يقع في الجهة الشرقية من المسجد واما المئذنة ذات الشكل المثمن شيدت على قاعة مربعة تنتهي بقبة دائرية مغطاة بمربعات من الزليج.[1]

هذا المسجد حولته السلطات الفرنسية، إلى مرقد للجنود وبيت يعبثون فيه، وهذا ما أفقد المسجد روعته وجماله كالمح ارب الذي فسدت رشاقة منظره.[2]

د-مسجد علي بتشين:

يقع هذا المسجد في زاوية التقاطع بين شارعي باب الواد والقصبة، وهو مسجد وجامع سمي نسبة إلى مؤسسه ، وتمتد واجهته الشرقية على شارع باب الوادي وتوجد أسفل قاعة الصلاة 7 جوانب بالإضافة إلى مدخل ضيق يؤدي إلى ضريح بواسطة درج من 8 أدرجة، ويخرج المحراب على شكل جناح من هذه الواجهة أما المئذنة فهي مربعة القاعدة يبلغ طولها 15 متر وتقع عند زاوية التقاطع بين الشارعين الرئيسين وتحتها عين للشرب سميت عين الشارع، اما الواجهة الجنوبية التي تمتد على شارع القصبة فقد كانت تظم 9 جوانب والإضافة إلى مدخل رئيسي، وقد حول الفرنسيون البوابة الرئيسية التي كانت في مسجد كتشاوة إلى هذا المكان سنة 1843م، وقد كتب على دفة هذا الباب كلمتي "ما شاء الله".[3]

أما قاعة الصلاة فهي قاعة مربعة تعلوها قبة مثقبة تحيط بها أربع وعشرون قبة صغيرة ويستند الكل على أربعة أعمدة رئيسية تتخللها ثمانية أعمدة ثانوية وقد كانت هذه الأعمدة الثانوية في الأصل 16 موضوعة مثنى مثنى وقد أضاف الفرنسيون سنة 1843 الإسمنت بين كل إثنين بغرض التقوية.[4]

---

(1) الحاج سعيد محمد، **مرجع سبق ذكره**، ص91.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص60.

(3) بن حموش مصطفى، **مرجع سبق ذكره**، ص-ص 27-28.

(4) **نفس المرجع السابق**، ص28.

هـ–مسجد سيدي عبد الرحمن:

يعتبر مسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي من أكثر المساجد الشعبية في الجزائر لإحتواءه على ضريح عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي فخر أئمة علماء الجزائر وذلك في عهد الباشا مصطفى كوسة الذي حكم بين 1610م1613م، أنشأ الداي الحاج أحمد ضريح الولي الصالح مسجد سنة 1696م وجلب إليه مجموعات هامة وفريدة من زليج التركي والتونسي وقد أشرف على بناء المسجد وكلية عبد القادر وفي حوالي 1730م أضاف الداي عبدي باشا البناية الجديدة وأشرف على بناء الوكيل محمد بن واضح وكانت أوقاف سيدي عبد الرحمن تدخل الأموال سنويا توزع على فقراء مدينة الجزائر كما أوقفت النساء أواني المطبخ النحاسية لفائدة الضريح.[1]

و–مسجد الجيش:

وهو من اكبر المساجد بالجزائر وقد هدم طابقه الأول الذي يمثل قاعدة الصلاة سنة 1830، يقع المسجد بين مصنع البارود وخزان الماء الجنوبي ومسجد الداي وجناح خوجة وهو من المباني التي تعرضت للتشويه بعد 1830 وخاصة 3عند شق الطريق 1844 وبرغم من وجود مئذنة والطابق الأرض لم يتم ذكره، وبعد تهديم قاعة الصلاة، بنيت على الطابق الأرضي مجموعة من الغرف يفصل بينها رواق يمتد من الشمال إلى الجنوب،[2] ينقسم الطابق الأرضي إلى قسمين متباينين القاعة الرئيسية والقاعة الجانبية وقاعة المئذنة، تتكون القاعة الرئيسية من قبوين تفصل بينهما ست دعامات رباعية الشكل تحمل قاعدة القوس المتكونة من إستدارة القبو، ويقع مدخلها من الناحية الشمالية ويحادي المئذنة من الجهة الغربية.[3]

---

(1) بن حموش مصطفى، **مرجع سبق ذكره**، ص–ص 51–53.

(2) فويال سعاد، **مرجع سبق ذكره**، ص–ص 77–84.

(3) فرحي فتيحة، **مرجع سبق ذكره**، ص–ص 48–49.

المبحث الثاني: الزوايا والمدارس:

أولا: الزوايا:

1-تعريف الزوايا:

أ-تعريف الزاوية لغة:

الزاوية لغة مصدرها زوى بفتح الزاي والواو، وزوى الشيئ يزويه زيا وزويا فانزوى: معناه نحاه فتنحى، وزواه أي قبضه، وزويت الشيئ جمعته وقبضته، وفي الحديث الشريف يقول الرسول ﷺ: {إن الله تعالى زوى لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها}، وفي حديث آخر: {اللهم ازو لنا الأرض وهون علينا السفر} وزويت لي الأرض أي جمعت، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضامنوا، والزاوية مفرد الزوايا.[1]

كما يرجع أصل كلمة زاوية إلى الانزواء والانعزال، الذي له أصل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فأما بالنسبة للقرآن فمن الأمثلة نذكر: {وأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا فَلَما اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاً جَعَلْنَا نَبِيًّا}.[2]

ب-الزوايا اصطلاحا:

واصطلاحا فالزاوية عبارة عن بناية ذات طابع ديني، يقيم فيها المتصوفة للاعتكاف، والتفرغ إلى العبادة، وتعليم المريدين مختلف العلوم الشرعية النقلية والعقلية، وتحفيظ القرآن الكريم للناشئة، وإيواء وإطعام الفقراء وابن السبيل.[3]

---

[1] دحدوح عبد القادر، **الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني**، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد 19، المركز الجامعي بتيسمسيلت، الجزائر، 2017.ص1164.

[2] **سورة مريم**، الآية 48-49.

[3] دحدوح عبد القادر، **الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني**، مرجع سبق ذكره، ص1165.

وقد ساد مصطلح الزاوية في بلاد المغرب الإسلامي، في حين كانت تعرف في المشرق بالخانقاه على عهد المماليك، ثم انتشر مصطلح التكية خلال العهد العثماني، وبالرغم من اختلاف هذه التسميات إلا أن مقصودها واحد، فقط عرفت بثلاث لغات مختلفة، الزاوية مأخوذ من العربية، والخانقاه من الفارسية، والتكية من اللغة التركية.

2-أنواع الزوايا ومهامها:

إنَ تعدد الزوايا في الجزائر، سمح بوجود أنظمة مختلفة أدت إلى وجود ثلاثة أنواع من الزوايا وهي:

أ-زوايا المشايخ:

وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النّظام الملكي الوراثي، وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب الطريقة، ويعرف بشيخ الطريقة وهو الذي يعطي الأوراد أي الميثاق، [1] وهذا الشيخ له أتباع ومريدون يسمون الإخوان» والزاوية تقوم على أكتاف هؤلاء المريدين والمحسنين فهم الذين يولون الزاوية ويجمعون لها الزكاة والتبرعات والصدقات من الشعب.

والشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر على زاويته، وهو صاحب الحل والعقد، وهو الذي يعين المعلم ويعزله حين يشاء وكذلك يحدد المواد التي تدرّس للطلبة، فإذا مات الشيخ استخلف بأحد أفراد عائلته أخيه أو ابنه...الخ، إمَا عن طريق الوصاية أو تختاره العائلة أو ترشحه لمنصب الطريقة ويخلف الشيخ الراحل وذلك حسب تقاليد الأسرة.

ومن هذا النوع من الزوايا الزاوية التيجانية بعين ماضي بالأغواط بتماسين، وبوسمغون بالبيض، وقمار بوادي سوف، وزاوية الهامل القاسمية ببوسعادة، وزاوية الحملاوي بقسنطينة، وزاوية سحنون في أغرار أمقران ببجاية، وزاوية الشيخ بلكبير بأدرار. [2]

---

[1] **الميثاق:** ويسمى الورد أو الوسيلة، وهو عبارة عن تلقي روحي يشتمل على أذكار ووصايا مقتبسة من نصوص الشريعة، يوصي بها الشيخ المربي مريديه الآخرين بيده أو بسبحته مغمضين أعينهم فيتلقونها منه بحفاوة، وقد يحرصون على التقيّد بها طيلة حياتهم، ويقول الناس في المثل الشعبي (اللي ما عندو شيخ شيخو شيطاني) ومعنى شيطاني عمله شيطاني لا رباني.

[2] بوزرينة سعيد، **مرجع سبق ذكره**، ص60.

ب–زوايا المرابطين: وهي ملكية جماعية يؤسسها جماعة من المرابطين ويسيرونها فيما بينهم، مواردها تتمثل في صدقات المحسنين والنذر والهبات والزيارات والحبوس وتنفق على طلبة العلم والإخوان، وينتشر هذا الوع من الزوايا في بلاد زواوة بمنطقة القبائلة.

ج–النوع الثالث:

وهو فريد من نوعه في القطر الجزائري، حسب ما قاله لنا الشيخ الذي زرناه في منطقة القبائل، والأمر يتعلق بزاوية سيدي عبد الرّحمن اليلولي والتي تأسست بأيلولة بعزازقة مدينة تيزي وزو عام 1045هـ/1635م، حيث يسيّرها الطلبة بحرية تامة واستقلالية في تسيير شؤونهم وتدبيرها ويسهرون على وضع نظامهم الداخلي وبتدبير علاقاتهم الخارجية.

3–أهم الزوايا بالجزائر العثمانية:

لكثرة هذه الزوايا وتعددها بالجزائر سنقتصر على أهمها من حيث إستقطابها الموردين وانتشارها:

أ–الزاوية الرحمانية:

تنسب الى الشيخ عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر، تحتوي الزاوية على مسجد صغير له منارة أنيقة مربعة الشكل إلى جانب الزوايا، وهو الشكل الذي نقله الأتراك إلى الجزائر، أما المحراب فإنه مزين بأجور الخزف المستورد من أسيا الصغرى وبجانبه سريتان صغيرتان من رخام، وقبر الشيخ العلامة، وعدة بيوت ومرافق، وسكن لوكيل متصلة بالمسجد، كما أن حجرة ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي تحوي عدة قبور دفنت فيه شخصيات تمثل قبر الحاج أحمد باي قسنطينة، وقبر خيضر باشا، وقد شيدت هذه الزاوية حوالي 1107هـ/ 1696م. [1]

[1] درقاوي منصور، **الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين 10هـ–13هـ / 16م–19م بين التأثير والتأثر**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران–الجزائر، 2014–2015، ص130.

ب–زاوية الجامع الكبير:

تقع بنهج باب الجزيرة بالقرب من الجامع الكبير مشتملة على مسجد بدون منارة، ومدرسة للصغار، كما كانت تضم طابقين يضمان عددًا من البيوت، مخصصة للعلماء من عابري السبيل» أو الفقراء الذين لا مأوى لهم، كما كانت تشمل على طابق أرضي، حيث كان يوجد الماء الضروري للوضوء والشرب، وعدة محلات لإقامة الذين يعملون بالجامع الأعظم، وقد وقف على بناء هذه الزاوية المفتي المالكي الشيخ سعيد ابن الحاج إبراهيم، مما بقى بيده من دخل حبوس الجامع الكبير بعد أداء جميع المصاريف بهذا الأخير، وقد تم بنائه سنة 1039هـ / 1630م.

ثانيا: المدارس:

رغم أن الرحالة الفرنسي فانتور ديبارادي قد تحدث في القرن الثاني عشر (18م) عن وجود ثلاث جامعات لتعليم المذهب المالكي في مدينة الجزائر وحدها، فإن الواقع هو أنه لم يكن في الجزائر كلها جامعة واحدة بالمعنى المتعارف عليه. فقد خلت الجزائر العثمانية من مؤسسة للتعليم العالي، توحد نظم التعليم وتحافظ على مستواه وتعكس نشاط واتجاه العلماء، وتحفظ قدرا معينا من أساليب اللغة والذوق الأدبي العام. ولم يكن للجزائر جامعة، إسلامية كالأزهر والقرويين والزيتونة، غير أن دروس جوامعها الكبيرة كانت تضاهي، بل قد تفوق أحيانا. دروس الجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين لتنوع الدراسات فيها وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.[1]

وقد عرّف "أبوراس الناصر" المدرسة بقوله: «المدرسة المتعارف عندنا الآن وهي التي تبنى لدراسة العلم أي تعليمه وتّعلمه.» وقد وجدت المدارس في مختلف حواضر الجزائر، فمدينة الجزائر وحدها كانت تحتوي على 229 مدرسة يدرس بها 5583 تلميذ، منها المدرسة القشاشين [2] التي أشاد بها أبواس الناصر واعتبرها مركز للتعليم العالي.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص273.

[2] القشاشية، حارة مكية تاريخية، محاذية للحرم المكي، ورد ذكرها عرضا في الأرج المسكي (ص43)، كما أنه ورد لفظة مكان القشاشين في الأرج المسكي "(ص45)، وقصد به المكان الواقع بين الميلين في المسعى، والقشاشون هم بائعو الحرير، والمعتقد أن اسم القشاشية مأخوذ من القشاشين، أنظر: لموسوعة ويكيبيديا.

أما مدارس قسنطينة فلم تكن تقل أهمية عن مدارس مدينة الجزائر فقد عرفت هي الأخرى إشعاعا ثقافيا خاصة عهد صالح باي الذي أسس المدرسة الكتّانية عام 1190هـ / 1776م لتعليم مختلف العلوم، وقد جعل لها نظاما خاصا.

كما أنه أسس عدة مدارس في عنابة وجيجل وكان يلحق بكل مدرسة مسجدا وكُتَابَا ومكتبة، وقد قُدر عدد مدارس قسنطينة عند دخول الفرنسيين ب 90 مدرسة، [1] لكن " إيمريت" Emerit يذكر أن عددها كان 86 مدرسة، يدرس بها 1350 تلميذ.

أما مدارس تلمسان فقد بلغ عددها حسب "ايمريت" 50 مدرسة صغيرة ومخصصة، بالإضافة إلى مدرستان للتعليم العالي وهما مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام.

وقد استفادت مدارس الغرب الجزائري من إصلاحات الباي محمد الكبير، وهذا لتدعيم وتنشيط الحياة الثقافية، حيث أسس المدرسة المحمدية في معسكر لتصبح من أكبر مدارس بايلك الغرب وقد أشار إليها أبوراس الناصري في حديثه عن المدارس)، ووصفها "إبن سحنون" قائلا في الثغر الجماني: «كاد العلم أن يتفجر من جوانبها». [2]

مدينة مازونة كانت هي الأخرى قبلة للعلماء والطلبة الوافدين عليها بإعتبارها قطبا من أقطاب طلب العلم، حيث يقول "بلحميسي"، «أما مدرسة مازونة ذات الشهرة المغاربية والتي شيدت نهاية القرن 9هـ / 16 م من طرف الشيخ محمد بن الشريف الأندلسي»، ويواصل القول حول المدرسة المازونية، حيث كانت ملتقى العلماء ومقر للمبادرات الفكرية وقد درس بها عدة علماء بارزون أمثال أبوراس الناصري، ويضيف سعد الله أن مدارس مازونة قد اشتهرت بوجه خاص بعلم الفقه والحديث وعلم الكلام. [3]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص276.

[2] درقاوي منصور، **مرجع سبق ذكره**، ص136.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص285.

تأثرت المدرسة بالواقع الثقافي الذي عاشته البلاد آنذاك فكان تأسيسها يتم بمجهود شخصي، وبمبادرة من الأفراد، حيث «كان إنشاء المدارس على أيدي المحسنين، وكانت المدارس المختلفة تموّل بالأوقاف التي كان يحبسها أصحاب النفوس الخيّرةِ التي ترجو الخير، وتسعى إلى وهب ربع عقاراتها لبناء المدارس» وغيرها من المشاريع التي تدعم التعليم بشتى أشكالهم.

دلالة على ووعي الجزائريين بالقيم الحضارية للممارسة التعليمية في ذلك العهد، ولعلنا نربط هذا المعطى بمسألة الحضور الأجنبي في البلاد، فكلما كان هناك انتداب أو استعمار كلما احتمى الشعب بالتعليم العصامي.

وقد أطلق توصيف المدرسة على المؤسسات الدينية من كتاب وزوايا ومساجد، بحكم «اختلاط وظيفة المدرسة والزاوية والجامع في ميدان التعليم. فقد كانت بعض المساجد والزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في نشر التعليم بجميع أنواعه، وخاصة الثانوي. وكانت بعض الزوايا عبارة على مدارس، كما كانت مساكن للطلبة الذين يدرسون. وكانت بعض المدارس ملحقة بالزوايا وأخرى ملحقة بالمساجد. وكثيرا ما ينص الوقف على تأسيس زاوية وجامع ومدرسة في (وقت نفسه)، لذلك فإنه من الصعب تمييز الوظائف التي تؤديها هذه المؤسسات مجتمعة في مجتمع يقوم فيه التعليم قبل كل شيء على الدين، وتلعب فيه المساجد والزوايا (وليس المدارس) الدور الرئيسي. [1]

فلم تكن هناك دلالة نظامية محددة تختص بها المدرسة إطارا ومهاما، ولهذا كثيرا ما يأتي البحاثة على الحديث عنها قصد المؤسسات الدينية، لذا «هناك اختلاف بين المؤرخين الذين تحدثوا عن الحياة الثقافية في العهد العثماني في تحديد عدد المدارس الموجودة آنذاك وخاصة الاب: إذ لا يوجد خط فاصل يميز المدرسة عن الكتاب وعن الزوايا التي يتعلم فيها الأطفال والمسجد الذي تقدم فيه دروس للأطفال في أحد حجراته».

وبهذا قيست كثرة المدارس في ذلك الوقت، فقد كثرت المدارس التعليمية المتمثلة في الكتّاب والزوايا والمساجد والتي لعبت دورا كبيرا في المحافظة على الشخصية الجزائرية، ومحاربة الأمية، وكانت

---

[1] بردي صليحة، **الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني–دراسة في الواقع والمعطيات**، مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد: 11 جوان 2018، كلية الآداب واللغات، جامعة الجيلالي بوتعامة، خميس مليانة–عين الدفلى–الجزائر، ص131.

منتشرة في كل المناطق الجزائرية الحضرية والريفية، ولقد كانت الجزائر العاصمة، وقسنطينة، ووهران، وبجاية، وتلمسان، ومازونة مراكز إشعاع علمي، بها أكبر المراكز التعليمية والتربوية قبل الاحتلال الفرنسي. [1]

[1] بردي صليحة، **مرجع سبق ذكره**، ص132.

المبحث الثالث: دور ومساهمة المؤسسات الثقافية في تعليم وتثقيف المجتمع:

أولا: الممارسة التعليمية:

1-دور الزوايا:

اما الزوايا كانت منتشرة في الريف والمدن، منها الحرة التي لا تنتسب الى اي والي والى طريقة، ومنها التي تنتسب الى ولي فتكون، بها ضريحه في الغالب ومنها التي تنتسب الى طريقة من الطرق الصوفية، كالطريقة الرحمانية والطريقة القادرية.

وكان لهذه الزوايا دور ثقافي واضح في النشاط الديني والعلمي إذ شاركت في تخريج عدد كبير من الطلبة، بإضافة الى التعليم كان كذلك مركزا للطلبة الفقراء وعابري السبيل والمسافرين وكانت الزاوية مقسمة الى قسمين:

القسم الاول: يقوم بوظيفة تحفيظ القران الكريم، ويؤمه غالبا الغرباء الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية، وحفظوا بعض سور القران الكريم.

القسم الثاني: فإنه يقوم بتدريس بعض الفنون الفقهية، وبعض المبادئ في علم الفلك والعقائد وقواعد النحو والصرف، وفنون اللغة والنطق. [1]

2-دور المساجد:

ويعتبر المسجد هو المكان المخصص لأداء الصلوات وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الفروض الدينية وبعض العلوم الاسلامية والتعريف بشؤون الناس، ومعالجة بعض المشاكل والقضايا المتعلقة بالحياة اليومية للمجتمع، فالعناية بالمساجد كانت ظاهرة في المجتمع الجزائري، فلا يكاد تجد قرية أو حي في المدينة بدون مسجد فلقد كان منشطا للحياة الاجتماعية والعلمية، والروابط ما بين أهل

---

[1] بن عبد المولى علال، بن وليد يزيد، **التركيبة الاجتماعية لسكان الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830**، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، قسم العلوم الانسانية، شعبة تاريخ، تخص-ص تاريخ حديث ومعاصر، الجامعة الافريقية العقيد أحمد دراية، أدرار-الجزائر، 2017-2018، ص58.

القرية والمدينة أو الحي لأنهم يشتركون في بنائه كما كانوا جميعا يشتركون في أداء الوظائف فيه، ولقد كان تشييد المساجد عملا فرديا بالدرجة الأولى فالغني المحسن هو الذي يقود عملية بناء المسجد، ولكن أعيان القرية أو الحي كانوا يساهمون بالتبرعات.[1]

ومن المساجد الكثير التي كانت بمدينة الجزائر نجد "الجامع الأعظم" ويسمى الجامع الاعظم وهو أعظم مسجد بالعاصمة ومساحته نحو200م²، وهو للمالكية إذ قبل نزول الاتراك بالجزائر لم يكن مسجد للحنفية، وتشييده يزيد بكثير على 9 قرون.

فمثلا في سنة 1830م كان يوجد بمدينة الجزائر 14 مسجدا حنفيا و92 مسجدا ملكيا.

أ-تحفيظ القرآن:

انطلاقا من حديث النبي ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"،[2] كانت المساجد تولي أهمية بالغة لتحفيظ كتاب الله عز وجل بحيث لا يذكر المسجد إلا وذكرت معه الحلقات القرآنية والطلبة كما يسمونهم، وقد كانت تخصص أماكن للتحفيظ داخل المسجد أو خارجه وهذه الأخيرة تعرف بالكتاتيب وهي في العادة تابعة للمساجد وتسمى عند العامة بـ"المسيد"، حيث يزدحم الأطفال ذكورا وإناثا في مختلف الأعمار على حفظ القرآن الكريم، ويجلسون فوق الحصائر والسجاجيد في شكل دوائر، فتملى عليهم أجزاء من القرآن الكريم يكتبونا على ألواح خشبية مطلية بطين الصلصال بأقلام من القصب وصمغ مصنوع من الصوف المحروق، وبعد كتابته وتصحيحه يتمرن الأطفال على قراءته قراءة أولية ثم يكررونه ويقرأونه بأصوات جهورية حتى يحفظوه جيدا، وبعد إجازة المعلم يمحى ذلك الجزء ويكتب غيره، وهكذا يتم الأمر بصفة دورية ودائمة حتى يأتي على جميع سور وأحزاب القرآن الكريم.

وقد كان معلمو القرآن يستعملون العصي والأسواط لتأديب الأطفال الشرسين والبلهاء والمنحرفين أو الذين يتهاونون في الحفظ ويركنون إلى الكسل.[3]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص243.

[2] صحيح البخاري.

[3] الحاج سعيد محمد، **مرجع سبق ذكره**، ص148.

ب–اللغة العربية:

إن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ولا يفهم القرآن الكريم إلا بمعرفة لغة العرب وأساليبهم في الكلام، ولهذا نجد المساجد قد كانت مكانا لتعلم هذه اللغة بمختلف فنونها من نحو وصرف وبلاغة... وذلك بفضل ثلة من العلماء قد بذلوا أوقاتهم وفرغوا أنفسهم لتعليم الناس هذه اللغة.

لقد كان طلبة العلم حريصين على حفظ متون اللغة ودراسة شروحها على مشايخ متمكنين، وقد كان العلماء يحثون الطلبة على تعلم هذا الفن، وضرب ابن حمادوش رحمه الله في رحلته مثلا لبعض الطلبة محاولا إقناعهم بضرورة تعلم الحساب والنحو بأن أهل تونس وأهل الأندلس كانوا يبدؤون أولادهم بتعليم هذين العلمين، ليذوقوا لذة العلم،[1] فالنحو كما يقولون من علوم الآلة التي يتوصل بها إلى معرفة وفهم العلوم الأخرى.

ومن أهم الأنظام التي حظيت باعتناء خاص من طرف العلماء وطلبة العلم نجد ألفية ابن مالك

التي تعكف على تدريسها وشرحها واستخراج دررها وكنوزها، إضافة إلى شرح الخلاصة للمرادي، وغيرها من الكتب والمؤلفات.

وممن اشتهر بتدريس اللغة العربية: يحي الشاوي الذي ترك أكثر من أربع مؤلفات منها: "نظم الامية في إعراب اسم الجلالة" جمع فيه أقوال النحاة وشرحها شرحا جيدا، وله "شرح على التسهيل لابن مالك"، وحاشية كبيرة على "شرح المرادي"، وله كتاب في أصول النحو على أسلوب الاقتراح للسيوطي، وهو تأليف صغير كتبه برسم السلطان العثماني محمد خان وقدمه للعلماء لعثمانيين فقرضوه.[2]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1800)**، مرجع سبق ذكره، ج2، ص158.

[2] **نفس المرجع السابق**، ص161.

ج–الدور الاجتماعي: إن من آثار المساجد الاجتماعية إيجاد التكافل الاجتماعي بين المسلمين فالمسجد هو مكان التعارف اليومي حيث يتعارف أبناء الحي الواحد، ومع مرور الأيام يألف بعضهم بعضا وتكون بينهم المحبة في الله وتتقوى بينهم أواصر الأخوة الإسلامية.

وعند ذلك تظهر آثار هذا التعارف وهذه الأخوة في الله في ترابط أفراد المجتمع وانسجامهم جميعًا في أسرة واحدة، فالكبير برحم الصغير ويعطف عليه، والصغير يحترم الكبير ويوقره، والغني يجود على الفقير، وإذا وقع أحد أفراد الحي في مصيبة أو أصابته جائحة في ماله وجد من إخوانه من يواسيه ويعيده إلى حال كريمة.

وهذا يشعر الفرد أنه ليس مقطوعا، وإن لم يكن له أسرة في بيته فهو فرد من أسرة كبيرة، فإذا تُقد من المسجد سأل عنه إخوانه على الفور، فإن كان مريضا عادوه، وإن كان مسافرا تفقدوا أسرته ورعوها كما لو كان موجودا.

في المساجد تزول كل الفوارق الاجتماعية والاقتصادية، ويتجسد مبدأ العدالة والمساوة بين كل الناس حيث يلتقون في الصلوات الخمس والجمع والأعياد ويقومون بتأدية الصلاة جيعا، ولا فرق حينئذ بين فئات وشرائح المجتمع، فالفقير والغني والعالم والأمي والشريف والوضيع والحاكم والمحكوم كلهم سواء، فالكل ينصهر في بوتقة واحدة في جو من الألفة والمحبة والأخوة فالمسلمون متساوون كأسنان المشط، والكرامة إنما تنال بالتقوى كما قال تعالى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}.[1]

كما لعبت هذه المساجد دورا هاما في إنهاء الخلافات والخصومات سواء تعلق الأمر بالأفراد أو بالجماعات، فكثيرا ما كانت مسرحا وفضاء لجلسات الصلح أو استرداد الحقوق الضائعة حيث كان الناس يتحاكمون إلى شيوخ وأئمة هذه المساجد لما كان لهم من مكانة وتعظيم في قلوب الناس، وإذا حكم الشيخ بحكم رضيت كل الأطراف بالحكم وانتهى الخلاف والنزاع.

[1] **سورة الحجرات**، الآية: 13.

لقد كانت هذه المساجد مخط رجال طلبة العلم وحتى عوام الناس، فيها يتعلمون أمور دينهم وما يجب عليهم نحوربهم، كما يتعلمون الآداب والأخلاق وحسن المعاملة مع مختلف فنات المجتمع من والدين وزوجة وأبناء وحكام وأخلاء فينشأ بذلك مجتمع مترابط تسوده الأخوة والرحمة.[1]

3-دور المدارس: كما كانت توجد مدارس خاصة بفروع العلوم الطبيعية والتجريبية كعلم الفلك والحساب والطب، وعلم صيدلة الأعشاب بالإضافة إلى علوم التفسير والفقه والحديث وعلم الكلام والتوحيد وعلوم اللغة والمنطق والفرائض وغيرها، وكل هذا يدرس في التعليم الثانوي وليس هناك فصل واضح وما بين التعليم الثانوي والعالي، والأستاذ في العالي يسمى "عالما" أما عدد الطلبة، فلقد كانوا ما بين 600 إلى 800 في كل إقليم، يواصلون تعليمهم العالي، وكان الأساتذة في هذا المستوى يتقاضون أجورهم من الأوقات أيضا، وكانت الدروس العالية تعطى في الزوايا وأهم الجوامع.

أما المدارس فهي مؤسسات ثقافية تتمثل وظيفتها بصورة أساسية في تعليم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية، وكان ظهورها بعد أن توسعت الرقعة الإسلامية واحتكاكها بشعوب أخرى فأصبحت الحاجة إلى اقتباس المعارف والعلوم المتنوعة والاستفادة من مختلف المعارف الضرورية لحياة المسلمين، الأمر الذي يفرض إنشاء هذه المدارس وانتشارها. [2]

ثانيا: الأطوار التعليمية:

مورست مختلف النشاطات التعليمية تحت إشراف الأوقاف بوصفها الهيئة الوصية عليها، حيث راحت تتكفل بذلك تكفلا مباشرا، غير أن التعليم الذي كانت تكفله لم يخرج عن ثلاثة أطوار: الابتدائي والثانوي والعالي.[3]

---

(1) الحاج سعيد محمد، **مرجع سبق ذكره**، ص-ص 152-153.

(2) بن عبد المولى علال، بن وليد يزيد، **مرجع سبق ذكره**، ص60.

(3) بردي صليحة، **الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني-دراسة في الواقع والمعطيات**، مجلة الذاكرة: تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأردني في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد: الحادي عشر جوان 2018، كلية الآداب واللغات، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة (عين الدفلى)-الجزائر، 2018، ص132.

1-التعليم الابتدائي: كان التعليم الابتدائي منتش ار بكثرة، بعد أن تولته المدارس القرآنية، «فلا نكاد نجد قرية، أو حي يخلو من مدرسة قرآنية»، وقد كانت قبلة لجميع الأطفال في المدن الكبرى، وحتى في الأرياف تحت توصيف "الشريعة" في مقابل "المدرسة".

أما عن المرحلة العمرية المعنية بهذا التعليم تحديدا ف «كان كل طفل بين السادسة والعاشرة يذهب إلى المدرسة، والملاحظ أن هذا بخصوص الأطفال الذكور، أما الإناث فلا يذهبن إلى المدارس إلا ناد ار، ولكن أصحاب البيوتات الكبيرة كانوا يجلبون أستاذا معروفا بصلاحه وعلمه لتعليم البنات. وفي كل قرية صغيرة) أو دوار (كانت هناك خيمة تدعى "الشريعة" خاصة بتعليم الأطفال، ويشرف عليها مؤدب يختاره سكان القرية لهذا الغرض. أما في المدن والقرى الكبيرة فقد كانت هناك مدارس تدعى "مسيد" أو مكتب، وكانت غالبا ملحقة بالوقف، والى جانب ذلك كان كل جامع تقريبا يضم مدرسة للتعليم أيضا».[1]

وبالنسبة للمدة التي يقتضيها التحصيل المعرفي في التعليم الابتدائي فكانت محددة بـ«حوالي أربع سنوات يتعلم الطفل خلالها مبادئ القراءة والكتابة ويحفظ القرآن وأركان الإسلام وشعائر الدين، واذا كان الفقراء يكتفون بهذا القدر من التعلم فإن الأغنياء يواصلون تعلمهم، وبذلك يدخلون المرحلة الثانوية».[2]

وفيما يتعلق بالمهام التعليمية الموكلة للمدرسة الابتدائية فقد تمثلت في كونها المصدر الأول في بناء الأجيال، «فهي تثقف وتربي الأطفال على قواعد الإسلام وعلى نمط اجتماعي محدد، وهي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم الذي هو أساس الثقافة الإسلامية، وهي تعلم الأطفال مبادئ العلوم والقراءة والكتابة، فيحفظون لسانهم من العجمة، ويتوحدون في التفاهم والتخاطب حيثما كانوا، وهي أيضا تساهم في إعطاء الطفل رصيدا من المعارف التي تساعده على شق طريقه في المجتمع بعد خروجه منها، عندما يبلغ عادة الرابع عشرة سنة، والى جانب ذلك كانت المدرسة الابتدائية تعد شعبا متعلما محصنا لا يوجد فيه إلا عدد قليل من الأميين، حقا إن المدرسة لم ترق بالتعليم ولم تساير العصر

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث-بداية الاحتلال**، الشركة الوطنيو للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 2011، ص-ص 161-162.

[2] **نفس المرجع السابق**، ص163.

والحاجة الاجتماعية، كما سنرى، ولكنها كانت على كل حال تؤدي وظيفة أساسية في المجتمع خصوصا رفع الأمية».[1]

ويمكن تفسير هذا التعثر في الرقي بالنشاط التعليمي فضلا عن أسبابه الظاهرة، بالغايات التعليمية، ذلك أن «الهدف العام من التعليم هو ديني، وليس دنيوي ما دام العلم لا يؤهل لأعمال اجتماعية، وسياسية، واقتصادية بارزة»[37].

ومع ذلك مثل التعليم الابتدائي حجر ال زاوية في تأسيس المعرفي للأجيال الصاعدة، بالنظر إلى مهامه المتعددة التي كان يؤديها جملة، التثقيفية منها والتربوية، فضلا عن الوظيفة البيداغوجية، والتأهيل الاجتماعي، وبناء الشخصية، وقد قطع في ذلك أشواطا لا يمكن إغفالها حتى وان لم يرقى إلى مستوى تطلعات الحدث التعليمي الذي لا حدود لآفاقه في مواكبة الراهن الاجتماعي.

2-التعليم الثانوي:

التعليم في المرحلة الثانوية يتوسط الحلقة التعليمية بين الطورين الابتدائي والعالي، حيث «كان التلميذ يستطيع أن يواصل تعليمه الثانوي في الجامع، أو في مدرسة ملحقة بالأوقاف، وكان التعليم الثانوي مجانا».[2]

أما عن المعطيات الإحصائية التي سجلت في هذا المستوى ف «كان يتلقى العلم في المرحلة الثانوية وفي كل إقليم من الأقاليم الثلاثة...،[3] وينال الطالب في النهاية "إجازة" تشهد له بأنه قد درس جميع العلوم التي تدخل في نطاق تخصصه: والإجازة ليست شهادة مكتوبة، ولكنها تعبير شفوي من المدرس إلى التلميذ، ومتى حصل التلميذ على الإجازة يصبح "طالبا" يستطيع قراءة القرآن في الجامع، ويتولى وظيفة مؤدب أو كاتب».[4]

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص280.

(2) أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث-بداية الاحتلال**، مرجع سبق ذكره، ص163.

(3) **الأقاليم الثالثة:** إقليم وهران، وإقليم الجزائر، وإقليم قسنطينة.

(4) **نفس المرجع السابق**، ص165.

بالرغم من أن التعليم عموما لم يكن نظاميا تس يّره السلطة الحاكمة، إلا أن المؤسسات الوقفية قد سعت في سبيل جعله أكثر تنظيما، وذلك برصد المعطيات الإحصائية، فضلا عن وجود إرهاصات للأداء التعليمي النظامي كمنح الإجازات الشفوية مثلا، إلا أنها لم تذهب أبعد من ذلك.[1]

3-التعليم العالي:

ما يمكن تسجيله بداية بالنسبة لهذا الطور التعليمي غياب الهياكل المتكفلة به خصوصا، حيث «لم يكن في الجزائر كلها جامعة واحدة بالمعنى المتعارف عليه، فقد خلت الجزائر العثمانية من مؤسسة للتعليم العالي، توحد نظم التعليم، وتحافظ على مستواه، وتعكس نشاط واتجاه العلماء، وتحفظ قد ار معينا من أساليب اللغة، والذوق الأدبي العام ،ولم يكن للجزائر "جامعة" إسلامية كالأزهر والقرويين والزيتونة، غير أن دروس جوامعها الكبيرة كانت تضاهي، بل قد تفوق أحيانا دروس الجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين، لتنوع الدراسات فيها، وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي. فدروس "سعيد قدورة"، و"علي الأنصاري"، و"أحمد بن عمار" بالعاصمة، ودروس "سعيد المقري" في تلمسان، ودروس "أبي ارس" في معسكر، ودروس "عمر الوازن"، و"عبد الكريم الفكون"، و"أحمد العباسي"، و"عبد القادر الراشدي" في قسنطينة، و"أحمد البوني" في عنابة كانت مضرب الأمثال في العمق والإحاطة والرقي، غير أن شهرة هؤلاء العلماء كانت نتيجة جهودهم الشخصية، وليس نتيجة انتمائهم لنظام شامل تخضع له المؤسسات التابعين لها».[2]

وكانت الدروس العالية تعطى في الزوايا وأهم الجوامع، ففي إقليم وهران كان الجامع الكبير في تلمسان، وجامع سيدي العربي، والزاوية القادرية (التابعة لأسرة الأمير عبد القادر)، وفي إقليم الجزائر كانت زاوية ابن المبارك بالقليعة، وزاوية مليانة، وزاوية بني سليمان، وزاوية ابن محي الدين، أما في إقليم قسنطينة فهناك الجامع الأخضر، وجامع سيدي عقبة وزاوية ابن علي الشريف في جرجرة.[3]

---

(1) بردي صليحة، **مرجع سبق ذكره**، ص133.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800)**، مرجع سبق ذكره، ج1، ص-ص 273-274.

(3) أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث-بداية الاحتلال**، مرجع سبق ذكره، ص165.

[1]لقد أثبت التعليم العالي في الجزائر آنذاك، كفاءته المعرفية التي جعلته يرقى إلى مصاف الأزهر والقرويين والزيتونة، وهذا إن دلّ على أمر إنما يدل على وجود مكاسب علمية جزائرية تخطت وصاية الأماكن، وتجاوزت عقبة التكفل المادي المحدود، فضلا عن غياب منظومة تدعم السير الحسن للأداء التعليمي.[2]

خلاصة:

لكل مجتمع له ثقافته الخاصة به وهي تشكل حضارة له، وتبقى مستمرة منذ وجودها وتتمثل عادة في العادات والتقاليد وبعض المعتقدات البدائية والتي تحولت الى ممارسات، كاللغة والدين والاحتفالات الدينية...الخ، والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات له تراثه الثقافي الخاص به والتراث الشعبي المتمثل في الحصيلة المتبقية من الانجازات والاثار المادية والغير المادية والفنية كونها الموروث تظهر أهمية في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية فهو مصدر العيش وغيرها من المؤسسات الدينية التي تتمثل في الزوايا والمساجد والمدارس والمعيشة العلماء والطلبة ومن جهة أخرى.

كانت أهمية مؤسسات الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني تؤدي وضائف عديدة أهمها خدمة الدين والتعليم عنوانا على التضامن الاجتماعي والوجه السياسي للجزائر فكان العثمانيين لم يهملوا وسائل نشر التعليم الديني ورعاية المجتمع الخيرية غير أن هناك عوامل جعلت الأوقاف وغيرها من مؤسسات غير فعالة في خدمة التعليم والنهوض بالمجتمع، كما ساعدت على نشر التصوف والشعوذة ومظاهر التخلف الاجتماعي.

---

[1] المدني أحمد توفيق، **كتاب الجزائر–تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية**، المطبعة العربية، الجزائر ،1391، ص 93.

[2] بردي صليحة، **مرجع سبق ذكره**، ص134.

ومهما كان الأمر فإن أهمها الأوقاف هي التي كانت وراء بناء المساجد للعبادة والتدريس هي العنصر الأساسي الحضاري للجزائر الثقافية اثناء وجود العثماني.

الفصـــل الثالث:

نماذج من البيوتات والأسر العلمية في مدينة الجزائر

تمهيد:

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني كغيرها من المجتمعات الإنسانية ظاهرة البيوتات والبيوتات هي أسر متنفذة أنجبت العديد من العلماء وإكتسبت الجاه والنفوذ والثروة وهذا ما سمح لها أن تؤدي دورا مهما في المجتمع بمختلف المجالات: الثقافية والسياسية والإجتماعية... وبنائها للزوايا وإشرافها على تعليم وإشتهرت البيوتات او الاسر العلمية بالعلم والمعرفة ووقد قسمها الباحثون الى صنفين: البيوتات الكبرى والبيوتات الصغرى حيث ان البيوتات الكبرى هي التي انجبت ثلاثة علماء فأكثر اشتهروا بإنتاجهم العلمي والتي برزت العديد من البيوتات والأسر العلمية نذكر منها ثلاثة من أهم البيوتات بمدينة الجزائر: بيت قدورة وابن العنابي وابن علي.

ومن خلال ما سبق يضم هذا الفصل أربعة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: خاص ببيت قدورة وعلماءه ووإدارة الجامع الكبير بمدينة الجزائر.

المبحث الثاني: خاص ببيت ابن العنابي الحنفي، والبيوتات الأسر العلمية يجمعها الأصل الأندلسي.

المبحث الثالث: فخصصناه لبيت إبن علي، والبيوتات والأسر العلمية ذات الأصول عثمانية، وهذه البيوتات الثلاثة هي أكبر البيوتات العلمية بمدينة الجزائر فقد أنجبت العديد من العلماء والفقهاء.

المبحث الرابع: فخصصناه لدور العلماء في ترسيخ ونشر العلم والمعرفة.

المبحث الأول: بيت قدورة:

تعتبر من أكثر الأسر العلمية شهرة بالجزائر العثمانية وقد حازت نفوذا مكنها من تولي الافتاء المالكي في مدينة الجزائر أكثر من قرن بدون الإنقطاع رغم المنافسة التي كانت بين المناصب العلمية والدينية الرفيعة. إتفق المؤرخون على أن هذه الاسرة تنتمي الى قرية قدورة قرب جربة حيث تعتبر تونسية الاصل.. وقد انجب هذا البيت العديد من العلماء تولوا وظائف علمية في مدينة.[1]

أولا: علماء بيت قدورة:

1-الشيخ ابو عثمان سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمان:(1066هـ/1655م):

نشأ بمدينة الجزائر وتلقى الشيخ سعيد قدورة العلم على مشيخة الجزائر كغيره من الطلبة النجباء للإستزادة من العلم قام بعدة رحلات علمية كن لها الفضل في توسيع مداركه العلمية فالتحق بزاوية تنس على أخوين محمد وعلي إبني أبهلول.

فشد رحاله إلى الغرب أولا إلى تلمسان سنة 1012هـ /1603م ومن تلمسان إتجه سعيد قدورة إلى المغرب الأقصى التي كان بها سنة 1015هـ/1606م وأقام يدرس بها ولم يعد إلى مدينة الجزائر إلى سنة 1019هـ/1610م.

تولى سعيد بن إبراهيم إمامة بمدينة الجزائر في مسجد البلاط ثم الخطابة بجامع سيدي رمضان ثم الافتاء المالكي اضافة الى انه كان خطيبا ومدرسا بالجامع الأعظم.

تخرج على سعيد قدورة عدد كبير من العلماء من أشهرهم: ابنة محمود قدورة والشيخ محمد بن عبد الكريم، والشيخ عيسى الثعالبي،[2] وغيرهم. [3]

---

[1] لزغم فوزية، **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246هـ / 1520-1830م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014، ص46.

[2] عيسى بن محمد الجعفري الثعالبي نزيل الحرمين الشريفين (ت1080هـ): له مؤلفات منها: مقاليد الأسانيد وكنز الزواة، ينظر لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص50.

[3] لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص-ص 47-51.

2-الشيخ ابو عبد الله محمد بن السعيد قدورة1107هـ/1695م:

ولد الشيخ محمد بن سعيد بمدينة الجزائر سنة 1034هـ/1624م ودرس على يد شيوخها وعلى رأسهم والده وتولى منصب الإفتاء والخطابة بالجامع الاعظم؛ يعد الشيخ محمد بن قدورة من كبار العلماء في وقته وكان ومن اشهر المدرسين في الجامع الاعظم تخرج على يده عدد كبير من العلماء منهم: أخاه احمد والشيخ محمد بن احمد القسنطيني ومحمد بن زاكور الفاسي وكانت وفاته سنة1107هـ/1695م.[1]

3-أبو العباس احمد بن السعيد قدورة: (1118هـ/1706م):

درس أحمد قدورة على يد والده سعيد واخاه محمد تولى الإفتاء بالجامع الاعظم سنة 1107هـ/1695م خلفا لأخيه محمد واستمر في هذه الوظيفة إلى مقتله عام 1118هـ/1706م عاصر أحمد قدورة في منصبه عدد من دايات منهم الداي حسين خوجة الذي كاين يوليه محبة كبيرة له إلا أن خلفه الداي محمد بكداش خوجة وهو الذي حكم عليه بإعدام بمجرد إعتلاءه منصب داي الجزائر.

وعليه فإن قتل أحمد وقريبه لم يكن سببه سياسي ويتعلق الأمر بتنافس غير شريف في تلك الفترة وحسب ما أشار إليه ابن المفتي في نصه أن سبب قتله يعود إلى عداوة التي يكنها له جماعة بما فيها العلماء الأحناف.[2]

ثانيا: بيت قدورة وإدارة الجامع الكبير بمدينة الجزائر:

كان الجامع الكبير بالمدينة مخصص للمذهب المالكي، هو مقر المفتي العام، وصاحب هذه الوظيفة يشرف على النشاطات المختلفة للجامع إلى جانب قيامه بوظيفة الإفتاء، بحيث كان المفتي يتولى الإشراف على أوقاف الجامع الكبير، كما يتولى به الخطابة والإمامة، إلى جانب التدريس.[1]

---

[1] ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، تح: فارس كعوان، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، سطيف-الجزائر، 2009، ص101.

[2] لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص-ص 53-55.

وقد كان هذا الجامع مقرا للمجلس العلمي الذي ينظر في القضايا المستعصية، وهو يضم عدد من الشخصيات يتقدمها المفتيان الحنفي ومالكي، والقاضيان الحنفي والمالكي.

كان به إمامان للصلوات الخمس، بينما كان المفتي المالكي يصلي بالناس الظهر والجمعة والعيدين. أما باقي الموظفين فهم كالتالي: منهم: 19 مدرسا ،8 من قراء القران، 18مؤذن. و3 وكلاء: أحدهم يقوم بإدارة أحباس الجامع، كان يشتغل تحت أوامر المفتي. والثاني يشرف على أحباس المؤذنين، وثالث كان يشرف على أحباس الحزابين، وقد كانت مداخيل المسجد كبيرة، رغم أن نسبة مهمة منها كانت تذهب إلى مختلف المصاريف.[2]

رغم مكانة بيت قدورة بمدينة الجزائر، بالإضافة ثروته فإنهم لم يؤسسوا زاوية أو مدرسة خاصة بيهم، وارتبط تاريخ هذا البيت بالجامع الكبير، الذي تولوا فيه الإفتاء والتدريس والخطابة، وأشرفوا على نشاطاته الدينية والعلمية، وقد استطاع سعيد قدورة أن ينفق على الجامع، وأن يوفر أموالا من أوقافه اشترى بها كتبا لمكتبة الجامع، كما شيد مدرسة لفقراء الطلبة والغرباء منهم.[3]

بالإضافة إلى تأسيسه سنة 1039هـ/1629م لزاوية قرب الجامع أصبحت تعرف بإسم زاوية الجامع الكبير، وهي تتكون من مسجد صغير دون مئذنة، ومدرسة، ومبنى سكني من طابقين، وعدة غرف يأوي الفقهاء المعوزين، وبعض الغرف لإقامة خادمي الزاوية.[4]

أما دور علماء بيت قدورة في التدريس بالجامع الكبير فهو دور إيجابي، بحيث كانت هذه الأسرة علم، وتدريس أثرت في أجيال المتعلمين الجزائريين، فقد كان سعيد قدورة من كبار المدرسين في عصره، وكان ابناه محمد وأحمد مثله غير معروفين بتأليف ولكن بالدرس.[1]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج1، 1985، ص393.

[2] لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص51.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)**، مرجع سبق ذكره، ص363.

[4] لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص65.

واشتهرت هذه الأسرة بزاوية الحديث الذي كان ثاني علم يعتنى به في تلك الفترة بعد القرأن الكريم، فكان أعضاء أسرة معروفين برواية الأخبار والأنساب وقد إشتهر محمد بذلك على الخصوص.

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)**، مرجع سبق ذكره، ص370.

المبحث الثاني: بيت إبن العنابي الحنفي

يعد هذا البيت من أشهر البيوتات العلمية بالجزائر إنتقل أسلاف هذه الأسرة إلى الجزائر من استانبول واستقرت أولا في عنابة ثم إنتقلت إلى مدينة الجزائر مركز السلطة وتوفر الوظائف الدينية.

تولى عدد من أفراد هذا البيت الفتوى والقضاء الحنفية بمدينة الجزائر وذوي النفوذ في البلاد وقد إستطعنا أن نرصد ثلاثة من علماء هذا البيت التي كانت لهم مناصب دينية وعلمية رفيعة.

أولا: علماء بيت إبن العنابي الحنفي:

1-مصطفى بن رمضان العنابي (1130هـ/1718م):

كان الشيخ مصطفى العنابي من أبرز العلماء في وقته وهو من أصل تركي أو تركماني، ولد في مدينة عنابة ونشأ وتعلم بها وعرف بالعنابي.

إنتقل إلى مدينة الجزائر قبل سنة 1075هـ /1664م. وإستقر بها لأنها مركز السلطة والجاه، سيما أنه حنفي المذهب.

واصل مصطفى العنابي تحصيله العلمي بمدينة الجزائر فدرس على علمائها منهم شيخه "أبي عبد الله سيدي محمد بن محمود شقرون بن أحمد المقري التلمساني" أكثر من إثنتي عشرة سنة.[1]

تولى مصطفى العنابي وظيفة القضاء والإفتاء الحنفيين بمدينة الجزائر وذكر الإتفاق الذي ابرم في محرم سنة 1111هـ/1700م. فأصبحت أسرة العنابي من الأسر المحظية في مدينة الجزائر خلال القرن 18م.[2]

توفي الشيخ مصطفى بن رمضان العنابي الحنفي في 1130هـ/1718م وخلف بعض المؤلفات منها: أرجوزة في الفرائض في الفقه الحنفي و"كتاب الروض البهيج بالنظر إلى أمور العزوبية والتزويج."[3]

---

(1) لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص68.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ب.ط، الجزائر، 1983، ص90.

(3) لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص70.

2-حسين بن محمد العنابي (1150هـ/1737م) :

هو الجد الاعلى لمحمود بن محمد العنابي سكن مدينة الجزائر وتولى الفتوى لحنفيه عده مرات وهي اعلى وظيفة الدينية والعلمية في تلك الفترة ويذكر ان ابن المفتي تولى الفتوى في المرة الاولى لمدة ثلاث سنين إلا ان عزل بكتاش خوجة ثم ولي ثانية شهرين ثم عزل وبعد سنتين ولي للمرة الثالثة وبعد 20 شهرا ثم ولي المرة الرابعة.[1]

ان تولي حسين العنابي لوظيفة الفترة كان يلحقها بالضرورة توليه في الوظائف أخرى التابعة لها وهي: الخطابة والتدريس بجامع الجديد. وقد اكد ذلك ابن المفتي لما تطرق لخلفه في الفتوى قائلا بانه تولى مكانة في وظائفه مفتيا وخطيبا ومدرسا بالجامع الجديد أي أن ابن العنابي كان بكل هذه الوظائف.[2]

كان حسين العنابي لما يبدو واسع المعرفة بالعلوم الشرعية وله تفسير القرآن الكريم، وتوفي في 21 جمادى الثانية سنه 1150 هـ/1737م فكانت مدته في الفتوى هذه المرة الاخيرة ثلاثة سنين وثلاثة اشهر.[3]

3-الشيخ محمود بن حسين بن محمد(1203هـ/1788م):

هو إبن حسين بن محمد وهو الجد الأدنى لإبن العنابي المشهور نشأ وتعلم بمدينة الجزائر على علماءها، ساهم بدوره في نشر العلم بها فأخد الشيخ محمد بن حسين ولي قضاء الحنفية بمدينة الجزائر وبالغ الأهمية في عصره.[4]

---

[1] لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص70.

[2] ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، **مرجع سبق ذكره**، ص92.

[3] أبو القاسم سعد الله، **المفتي الجزائري ابن العنابي-رائد تجديد الاسلام (1775-1850)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ب.ط، الجزائر، 1977، ص-ص 13-14.

[4] لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص73.

وهذا المنصب كفيل من أن جعله صاحب جاها كبيرا، فهذا جعله واجهة لأحداث والمجتمع. رحل الشيخ محمد بن حسين إلى المشرق فتوفي بمصر. فقد أشار إليه حفيده محمد بن حمود في أحد إجازاته قائلا:" محمد بن حسين قاضي الجزائر المتوفي سنة (1203هـ).[1]

ثانيا: البيوتات واسر علمية ذات أصول أندلسية بمدينة الجزائر:

وهذا المنصب كفيل من أن جعله صاحب جاها كبيرا، فهذا جعله واجهة لأحداث والمجتمع. رحل الشيخ محمد بن حسين إلى المشرق فتوفي بمصر. فقد أشار إليه حفيده محمد بن حمود في أحد إجازاته قائلا:" محمد بن حسين قاضي الجزائر المتوفي سنة (1203هـ).

عرفت الجزائر كغيرها من بلدان المغرب العربي الإسلامي هجرة أندلسية واسعة بدأت منذ الفترة الوسيطية، وتضاعف عددها بعد سقوط مملكة غرناطة عام 898هـ/1492م، وذلك مع الحرب الصليبية الشرسة التي إعتاد بعض الكتاب تسميتها ب "حركة الاسترداد المسيحي.[2]

وقد كان حظ مدينة الجزائر خلال القرنين السادس عشر، واتخادها عاصمة للأيالة الناشئة، وأصبحت هذه المدينة بل منطقة برمتها وجهة للكثير من الأندلسيين الذين استقروا بها. ولعبو دورا مهما في تنشيط الحياة الإقتصادية بالجزائر نظرا لاشتغالهم بالتجارة، والغزو البحري، والنشاطات الحرفية، بالإضافة إلى مساهمتهم في تنشيط الحياة الثقافية بها، ومن أهم الأندلسيين في مجال الثقافي هو تأسيسهم لزاوية لتعليم علوم القرآن الكريم ودراسة مختلف العلوم سنة 1033هـ/1623م.[3]

وقد برزت بدار السلطان العديد من الأسر الأندلسية المتنفدة، وكان لها دور مهم في دفع الحركة الفكرية إلى الأمام، والميزة التي تشترك فيها البيوتات والأسر التي تعود أصولها إلى الأندلس هو

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **المفتي الجزائري ابن العنابي–رائد تجديد الاسلام (1775–1850)**، مرجع سبق ذكره، ص115.

[2] لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص114.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)**، مرجع سبق ذكره، ص282.

تفاديها الاشتغال بالسياسة، بأي شكل من الأشكال، مع أن البيوتات بهذه المنطقة هي مقر السلطة المركزية لم يكن لها دور سياسي.[1]

1-أسرة ابن عبد اللطيف:

يميل أبو قاسم سعد الله إلى احتمال أن تكون أسرة ابن اللطيف أندلسية الأصل، ولعل أهم أثر نستند عليه للتأريخ لهذه الأسرة هو ما مدحهم به أحمد بن عمار نظما ونثرا، ونعتهم ب "آل ابن عبد اللطيف"، ووصف قصرهم، وأشار إلى دورهم العسكري والسياسي في الجزائر.

ومن النصوص النثرية التي وصف فيها ابن عمار قصر ابن عبد اللطيف قوله:" والزهر من سماء القوارير تسكب علينا، وتصب في لمة من الأعيان تهابهم القلوب، وتجلهم الأعيان ما تتلمح إلا بدر محفل .... فناهيك من ليلة قطعناها بالمسامرة ما أقصرها بعمر وأطولها في فخر بباع ." [2]

أنجبت أسرة ابن عبد اللطيف عدد من أهل العلم، وقد إستطعنا أن نرصد ثلاثة من علماءها:

أ-أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف:

برغم من قول ابن عمارالذي اشار إليه في النصوص النثرية، ووصفه عدة مرات بالوزير في قصائده من ذلك قوله:

ففخرا وزير العصر أحمد إنمـــــا حوست الذي لم يحوه ملك غبـــــر

جمعت النجوم النيرات بمجلـس طلعت به يا واحد العصر كالقمـــر

ورغم أن ابن عمار ينسب لأحمد بن عبد اللطيف الوزارة فيصفه بالوزير وأحيانا بـ "الوزير الكاتب". لكونه تولى وظيفا ساميا بهذا المستوى.[1]

---

[1] لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص114.

[2] لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص114.

ب–الشيخ أحمد زروق بن السيد محي بن عبد اللطيف (القرن12هـ):[2]

عاش خلال القرن الثاني عشر بمدينة الجزائر ودرس على مشايخها، فكان شريك إبن المفتي "في مجلس سيدي مصطفى العنابي، ومجلس سيدي عمار، ومجلس سيدي محمد بن نيقرو،[3] وهو أيضا ابن أخت العالم سيدي الحاج المهدي بن الحاج صالح "، الذي تولى القضاء المالكية، ثم الإفتاء المالكي عام 1127هـ.

تولى أحمد الزروق الفتوى المالكية في شهر ذي الحجة سنة 1152هـ/1739م، وكان لا يزال متوليا للفتوى حين أنهى ابن المفتي تقييداته عام 1166هـ/1753م، وهو أخر من ترجم له، وختم ترجمة بقوله: "وهو المتولي، والظاهر أنه ظل في الفتوى إلى سنة 1169هـ/1755م. وتولى التدريس والخطابة إلى جانب الفتوى.[4]

وقد ذكر الشيخ أحمد الزروق وشقيقه الشيخ عبد الرحمن في إحدى الوقفيات المؤرخة بأواخر رجب 1153هـ/1470م .

كما ذكره عبد الرزاق بن حمادوش في رحلته، وقد كان يحضر سرد صحيح البخاري في الجامع الأعظم، الذي إمامه ومفتيه وخطيبه، رفقة أخيه عبد الرحمن، في شهر شعبان 1157هـ/1744م.

2–بيت ابن مبارك القلعي:

---

[1] لم تكن في الجزائر العثمانية وظيفة بلقب وزير إلا أن هناك وظائف سياسية كان أصحابها بمثابة وزراء والوزراء الثلاثة الأوائل هم: الخزناجي: هو بمثابة وزير المالية في عصرنا الحالي، آغا العرب أو آغا المحلة: وهو القائد الأعلى لكل فرق الدولة الفرسان والمشاة، وخوجة الخيل: وهو بمثابة وزير الفلاحة في أيامنا، ينظر: عائشة غطاس، "الادارة المركزية"، ضمن كتاب: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م–2007م، ص–ص 114–119.

[2] هناك عالم آخر من عنابة معاصر لأحمد الزروق، ويحمل الاسم نفسه، وهو من شيوخ السيد مرتضي الزبيدي نزيل مصر (ن1205هـ)، وذكره في "النفح المسكي"، وأشار إليه عبد الحي الكتاني في النص التالي:"المحدث أحمد بن عبد اللطيف الحسني الشهير بزورق المستوطن بعنابة، ومفتها إجازة كتابة من بلدة سنة 1179هـ، ينظر: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، ف**هرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 2009، ج1، ص238.

[3] ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، **مرجع سبق ذكره**، ص113.

[4] لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص–ص117–118.

ينسب هذا البيت لسيدي مبارك الأندلسي الذي إستقر بالقليعة، وقد كان هذا البيت حضور ديني وصوفي كبير أكثر من الحضور العلمي، رغم أنه من البيوتات التي تولت الإفتاء المالكي بمدينة الجزائر. وقد تمتع بمكانة اجتماعية مرموقة، ولهذا تقربت منه السلطة لتستفيد من نفوذها الروحي.

أ-الشيخ علي بن مبارك القلعي(ت1040هـ/1631م).

هو مؤسس بين ابن مبارك، وقد جمع الشيخ بين العلم والصلاح، ووصف ب:" الولي العارف، ذو الكرامات والمعارف، ولما توفي دفن بمدينة القليعة، وضريحه مشهور بها، وهو وجهة للزوار.

ب-محي الدين بن "سيدي" علي بن مبارك(ت1058هـ/1648م):

يعرفه نور الدين عبد القادر بأنه " رجل عالم صالح" غير أن إسمه ورد فب بعض الوثائق خاليا من التحلية العلمية، ومنها ...." بعد أن استقر على ملك المكرم الأجل السيد محي الدين نجل الولي الصالح سيدي علي بن مبارك.... [1]

[1] لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص-ص 127-128.

المبحث الثالث: بيت إبن علي:

يعود أصل أبن علي من الأعلاج أو المهتدين ودليل على ذلك ما أورده حسين بن رجب المعروف بإبن المفتي في تقييداته وقد كان أبناء العلوج يعتبرون كراغلة مثل أبناء الأتراك. والمعلوم أن الكثير من الأعلاج حملو من الخصال الشخصية والكفاءة ما مكنهم من الوصول إلى أعلى مناصب الدولة.

حيث حظيت هذه الأسرة في مدينة الجزائر بمكانة علمية وإجتماعية مهمة وإندمجت في مجتمع الجزائري وبذلك أصبحت من أكثر الأسر دفاعا عن القيم العربية. كما أن ابن علي هو الذي أمر بإعتباره مفتيا بترجمة كتاب " غزوات عروج وخير الدين " إلى اللغة العربية من أصلها التركي.[1]

أسرة ابن علي أسرة علمية عريقة في الجزائر العثمانية ومنها نرصد ثلاثة من أبرز علمائها:

أولا: علماء بيت إبن علي الحنفي:

1-الشيخ محمد المهدي بن رمضان بن يوسف العلج: (1072هـ/1661م):

هو الجد الأدنى لإبن علي الشاعر المشهور وشيخ إسلام في زمانه أبي عبد الله سيدي محمد المهدي الجزائري. كان مفتيا للحنيفة بمدينة الجزائر سنة (1045 هـ/1635م) ويظهر أنه ظل بيها إلى سنة(1069هـ/1658م).[2]

---

[1] لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص-ص 81-83.

[2] ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، **مرجع سبق ذكره**، ص-ص 86-87.

وقد أخد الشيخ محمد المهدي عن علماء مدينة الجزائر في عصره، وفي مقدمتهم الشيخ علي الأنصاري الذي مدحه بعدة قصائد.[1]

2-ابوعبد الله محمد بن علي بن محمد المهدي(1169هـ/1755م):

ولد إبن علي بمدينة الجزائر في حوالي سنة 1090هـ/1679م ونشأ وتعلم بها على يد والده وأسرته كان تلميذا في مدارس ومساجد الجزائر وقد كان أشهر العلماء الفضلاء في وقته.[2]

وظائفه:

تولى إبن علي الفتوى الحنفية سنة 1150هـ/1737م ولا سيما أنه قد تولى عدة وظائف قبل هذا في التاريخ كما وصفه إبن عمارفي عام 1166هـ: ب " أستاذنا شيخ الإسلام أبوعبد الله بن علي" وشيخ الإسلام هو لقب يطلق على المفتي الحنفي بالجزائر. ويبدوا أنه إستمر في منصبه إلى سنة 1169هـ/1755م.

وفي تقييدات إبن المفتي "تولى سيدي محمد بن علي بن سيدي المهدي بن سيدي رمضان بن يوسف العلج مكان المرحوم (حسين العنابي) في وظائفه مفتيا، وخطيبا ومدرسا بالجامع الجديد، أطال الله بقاءه ونفع به المسلمين.[3]

3-محمد بن محمد المهدي:

هو والد ابن علي الشاعر المعروف. نشأ بمدينة الجزائر وتعلم بها، وقد كان شاعرا، ومن مؤلفاته " مجمع الأنهر " في فروع الفقه الحنفي. أما تاريخ وفاته فهو غير معروف ويذكر أن قونزاليز

---

(1) لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص84.

(2) لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص87.

(3) **نفس المرجع السابق**، ص-ص 87-88.

يذكره بأنه توفي حوالي سنة 1093هـ/1682م، حين يذكر صاحب "معجم أعلام الجزائر " أنه توفي سنة 1128هـ/1716م.[1]

ثانيا: بيوتات وأسر علمية ذات أصول عثمانية

1-بيت الشريف الزهار: بيت الشريف الزهار من البيوتات المرابطين، وهو بيت ديني بالدرجة الأولى، إذ لم ينجب علماء أعلام، ولم يعرف أن أبنائه من تولى مناصب علمية رفيعة، أو اشتهر كمدرس، إلا أنها لم تخل من رجال العلم، والمشتغلين به حسب ثقافة ذلك العصر. تولى عدد منهم الإمامة، ومنهم من تولى نقابة الأشراف، ومنهم من ترك مؤلفات ذات قيمة كبيرة، ونعني بذلك أحمد الزهار.[2]

أ-محمد الشريف الزهار(ت948هـ/1542م):

يعد ولي صالح السيد: محمد بن أحمد بن عبد الله، المعروف بمحمد الشريف الزهار، مؤسس هذا البيت، الذي يدين بالقسط الأكبر من مكانته وشهرته إلى انتمائه للأشراف، ينتهي نسب الشيخ محمد إلى إدريس الأكبر مؤسس الدولة الإدريسية. وهو من أشهر تلامذة الشيخ الولي بن يوسف المليانى دفين مدينة مليانة، وضريحه معروف بسند الجبل بمدينة الجزائر.[3]

ب-السيد أحمد بن محمد الشريف الزهار (القرن 12هـ/18م):

يبدو أنه من رجال العلم، وذلك من خلال الأوصاف التي وصف بها في إحدى الوثائق التاريخية، المؤرخة بأواخر رجب سنة 1153هـ/1740م:" ... المعظم الأجل الزكي الأفضل الخير الأعمل العالم الأشمل السيد أحمد محمد الشريف الزهار."[4]

2-أسرة المانجلاتي:

---

(1) لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص86.

(2) لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص138.

(3) البسكري نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر**، دار الحضارة، ب.ط، الجزائر، 2007، ص190.

(4) لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص139.

قدت تولت هذه الأسرة القضاء والإفتاء المالكي بمدينة الجزائر، [1] ويجدر التنبيه إلى أن هناك مسجد بمدينة الجزائر عرف بإسم إمامه وخطيبه المنجلاتي،[2] وأحيانا بنجلاتي ومن علماءها نذكر:

أ-أحمد المانجلاتي (القرن 11هـ/17م):

هناك إثنان من هذه الأسرة يحملان اسم احمد، وكلاهما شاعر، عاش خلال القرن الحادي عشر للهجرة(17م)، وهو معاصر لسيد قدورة، والثاني عاش خلال القرن الثاني عشر، وهو معاصر لأحمد بن عمار وإبن علي.[3]

ب-الشيخ أبو حفص عمر المانجلاتي (ت 1104هـ/1693م):

ذكر الشيخ عمر المانجلاتي في إجازته لابن زاكور اسمه: "عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف الجزائري الدار والمنشأ، والمانجلاتي نسبا، وبهذا يؤكد نسبته إلى قبيلة منجلات البربرية ببلاد زواوة، وانتقل منها بعد سقوطها إلى مدينة الجزائر، فكان من كبار علماءها، ورحل إلى المغرب.

وإذا كان تاريخ وفاة الشيخ عمر المانجلاتي معلوم لدينا وهو سنة 1104هـ/1693م، فإن تاريخ مولده غير معروف بشكل دقيق، ولكنه قد يكون في العقد الثاني من القرن الحادي عشر الهجري من خلال ما ورد على لسان ابن زاكور سنة 1094هـ: "على أنه دنا من أرذل العمر واقترب، وبات من ورد الثمانين على قرب".

وهناك إشارات وردت في وصف ابن زاكور لشيخه المانجلاتي تدل على أنه من أسرة إشتهرت بالعلم، أخد الشيخ أبو حفص عمر المانجلاتي على علماء مدينة الجزائر، ولازم أكثر علماءها شهرة

---

[1] اشتهر عدد من العلماء ممن يعرفون المنجلاتي من أهل بجاية خلال الفترة الوسيطة، إلا أنن لا نجازف بنسبتهم إلى الأسرة التي تترجم لها، نذكر منهم يعقوب بن يوسف الزواوي المنجلاتي (ت690هـ)، وأبنه محمد بن يعقوب (ت730هـ)، وكلاهما من مبار العلماء، ينظر: ترجمتها: الغبريني، عنوان الدراسة، التنبكتي، نيل الابتهاج، نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص319.

[2] عرف مسجد مصطفى باشا بعدة أسماء في الوثائق الشرعية، بحيث كان يعرف باسم مسجد الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله الذي كان إمامه، وبعد ذلك عرف باسم مسجد باب السوق بنسبة إلى موقعه عند مدخل السوق الكبير، ثم باسم مصطفى باشا الذي قام بترميمه، ثم سمي باسم إمامه المنجلاتي، ينظر: ابن حموش، **مرجع سبق ذكره**، ص97.

[3] لزغم فوزية، **مرجع سبق ذكره**، ص-ص 129-130.

وهما الشيخان: عبد الواحد الأنصاري وأبو عثمان سعيد قدورة، وقد لازم منهما مدة طويلة أخد فيها عليه الفنون منها: الحديث، الفقه، النحو.

إشتهر الشيخ عمر المانجلاتي يتوليه وظيفة القضاء المالكي بمدينة الجزائر، وهي من المناصب الدينية المهمة أنذاك.[1]

المبحث الرابع: دور العلماء في ترسيخ ونشر العلم والمعرفة:

إن الأحداث والتطورات المتلاحقة والمختلفة التي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني، جعلت العلماء يأخذون مكانة في المجتمع، من خلال اهتمامهم بالحياة السياسية والقضائية، والثقافية والاجتماعية. فكانوا على اتصال مباشر مع الناس رغم مكانهم العلمية والدينية. من خلال المجالس القضائية وحلقات الدرس وخطب الجمعة والزوايا، في المساجد والأسواق والمقاهي، ليبينوا لأفراد المجتمع موقف الدين من هذه الأحداث والتحولات والظواهر، والتي ستساهم في بروز إنتاج فكري وثقافي غزير تتعدد مظاهره وتتنوع مواضيعه، وستضطر العلماء إلى إبداء مواقف من خلال فتاويهم المختلفة سواء كانوا أحنافا أم مالكيين أو إياضيين.

اهتم العلماء بالأحداث التاريخية وتسلسلها التي عرفها البلاد منها الثقافية والدينية والسياسية من خلال التأريخ للبشوات والبايات وسير العلماء، بل امتد هذا الاهتمام إلى ما كان يجري في الساحة العالمية من تغيرات سياسية وفكرية اقتصادية وعسكرية، ومثل العلماء ورجال الزوايا والطرق الرأي العام الجزائري باعتبارهم المرشد الديني والموجه التربوي والجهادي، لذا حظيت هذه النخبة بالتقدير والاحترام في المدن والتقديس والطاعة العمياء في الريف بسبب نفوذها الروحي والديني وكان العلماء يؤدون رسالة هامة في المجتمع الجزائري من تعليم الناس دينهم بأحكامه وشريعته الصحيحة، وإصلاح ذات البين، وتحقيق العدل والمساواة، وإعادة الحق إلى أصحابه من خلال القضاء.

[1] **نفس المرجع السابق**، ص-ص 130-133.

أولا: دورهم العلمي وثقافي:

1-الاهتمام بالتدريس:

كان التدريس أقل المناصب تنافسا بين العلماء، باعتبارها من الوظائف العامة لهم، وكان تعيين العلماء والمدرسين في الوظائف التعليمية لا يخضع لإرادة الحكام، وقد ارتبطت بوظائف أخرى كالمفتي والخطيب، كان المفتي يتولى الإمامة والخطابة والتدريس،[1] في حين لا يمكن للمدرس أن يكون مفتيا ولا خطيبا، تقتصر مهمته على التدريس فقط،[2] ويمكن أن نصف النوعين من المدرسين معلمو المدن ومعلمو الأرياف والفرق بيهم في التصنيف والدرجة، فمن يدرس الشباب هو أستاذ وشيخ ومن يدرس الفتيان هو معلم أو مدرس ومن يدرس الأطفال فهو مؤدب، وهو الذي يتم اختياره من قبل سكان الحي بالمدن، في حين يقوم سكان الريف والدوار باختيار مؤدب الصغار، أما في مسالة تعيين المدرس فيتم تعيينه من قبل الباشا أو خليفته، أما في البايليكات فيتم تعيينه من قبل الباي أوحاكم الدار،[3] أما في الريف فيختار من قبل شيخ القبيلة، كما وجد من عرف بالمعلمين الزائرين وهم الذين لا يتقاضون أجرا، وهذا ما كان يفعله "الورتلاني" حينما يزور بجاية كل عام خلال شهر رمضان بقوله: «ناويا الرباط، وتعليمي للطلبة راجيا أن يكون لي حظ وافر منهم ونصيب كامل من عندهم...»، وهناك كثيرا من علماء الجزائر خلال العهد العثماني اشتهروا بالتدريس، وفضلوه على باقي الوظائف، فقد عرف "أبو الرأس الناصري" بطريقة تدريسه وفصاحة لسانه والمامه الواسع بالمواضع التي يعالجها، مكرسا حياته في التأليف والتدريس لمدة تزيد عن ست وثلاثين سنة بلا انقطاع، مع تولي مناصب ومهام أخرى منها الفتوى والقضاء والخطابة، وهذا "سعيد المقري" كرس حياته في التدريس وخرج مجموعة من التلاميذ مثل ابن أخيه "أحمد المقري"، و"سعيد قدورة"، واشهرت أسرة "سعيد قدورة" وأبناؤه بالتدريس، خاصة محمد الذي عرف بفصاحة لسانه وكثرة

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)**، مرجع سبق ذكره، ص-ص 326-327.

(2) مخفي مختار، **دور علماء الجزائر اجتماعيا سياسي خلال العهد العثماني (1518-1830م)**، مجلة متون، المجلد الثامن، العدد الرابع، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة الجزائر، جانفي 2017، ص372.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)**، مرجع سبق ذكره، ص403.

علومه، ويعتبر "عمر بن محمد الكماد القسنطني" المعروف "بالوزان"، و"أحمد بن عمار" من الذين كرسوا حياتهم للتدريس ورفض تولي منصب القضاء والتقرب من الحكام، ورغم ضعف الحركة الثقافية وتراجع دور العلم والعلماء، إلا أن حركة التأليف تميزت بكثرتها وديمومتها، بحيث لا نكاد نجد عالما إلا وله مؤلفات كثيرة في شتى العلوم.[1]

2-الاهتمام بالتأليف:

ورغم ما قيل عن المجال الثقافي عن الجزائر العثمانية، إلا أن حركة التأليف كانت كثيرة ونشيطة، حيث لا نكاد نجد عالما إلا وله مصنفات عديدة وفي جميع المجالات، ولم تمنع مهام الوظائف الدينية التي تولاها العلماء من وجود حركة التأليف والنسخ كوسيلة لانتشار الكتب سواء من خلال جهود العلماء أنفسهم أو بتشجيع من بعض الحكام العثمانيين في بعض الفترات، مثل الباي "صالح" والباي "محمد بن عثمان الكبير" الذي شجع الطلبة والكتبة على نسخ الكتب واختصار ما طال منها، وكان يكافهم بسخاء، ويذكر الشيخ "المهدي البوعبدلي"، أن الباي قد عين لها مدرسين أكفاء، وعلماء أخلاء كالشيخ "الطاهر بن حواء" والشيخ "محمد المصطفى بن زرفة". والشيخ "أبو رأس الناصري".

الذي تولى التدريس بالمدرسة سنتين، تركوا لنا ثروة ودينية وتاريخية، وقد اشتهر العديد من العلماء بالتأليف. منهم "أبو رأس الناصري". الذي قال عنه "أبو القاسم سعد الله": "أكثر أبو رأس من التأليف كثرة لا يضاهيه فها من الجزائريين أحد حسب علمنا باستثناء أحمد البوني الذي تجاوزت تأليفه المائة».[2]

ومنهم "أحمد المقري" الذي غلب عنده التأليف على التدريس، وهناك من ترك القليل من المؤلفات الذي كانت كتبه عبارة عن دفاتر صغيرة وعبارة عن شروح وحواشي، و"علي الأنصاري"

---

[1] مخفي مختار، **مرجع سبق ذكره**، ص373.

[2] مخفي مختار، **مرجع سبق ذكره**، ص-ص 373-374

الذي كان تأليفه عبارة عن شروح وحواشي، و"علي الأنصاري" الذي كان تأليفه عبارة عن منظومات وشروح ويتضح من ذلك تنوع مؤلفات علماء الجزائر خلال العهد العثماني الذين كتبوا في كل علوم عصرهم، كعلوم القرآن والتفسير والقراءات والحديث والفقه والتوحيد والتصوف والنحو واللغة والبلاغة والعروض والمنطق والأصول والتراجم والأنساب والتاريخ والشعر، مع احتوائها على العديد من الطرائف، والنوادر والأخبار والحكايات، والاستطرادات المتنوعة.

ولم تكن الأحداث التي عرفتها إيالة الجزائر غائبة عن مؤلفات العلماء، سواء تخليد وتمجيد البطولات. أو بإيعاز من الحكام. كما حدث في فتح وهران الثاني 1206هـ / 1791م الذي كان حدثا هاما. كلف الباي "محمد الكبير"، كاتبه الخاص "ابن زرفة الدحاوي" بتسجيل وقائع الفتح، والى لخصها في مؤلفه "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية"، واشتهر العديد من المؤلفات معتمدا على التنقل والرواية، ويعتبر كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، وهو شرح وترجمة القصيدة طويلة (1181 بيتا) عنوانها "نفيسة الجمان في فتح ثغر وهران على يد المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان" والتي وضعها وهو عائد من الحج وبلغته الأخبار وهو بجربة التونسية، واحتوى على جزأين. يعتبر (أي عجائب الأسفار) مصدرا أساسيا فيما تعلق بتأسيس المدن وأنساب القبائل ومراحل فتح وهران وبإنجازات "محمد الكبير".

كما تحركت عواطف علماء آخرين، فكتبوا يؤرخون للحدث، ومهم الفقيه "أحمد بن محمد بن علي ابن سحنون" صاحب "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، وهو عبارة عن أرجوزة في فتع وهران الثاني، يدور محورها حول الإشادة بفاتحها "محمد الكبيرة" لكنها احتوت على أحداث تاريخي من مصادر مختلفة، سجل روايات معاصريه مما جعله مؤرخا وكاتبا ناقلا للأحداث ملتزما الصدق والحقيقى فالكتاب يعتبر مصدرا حول حياة "محمد الكبير" وإنجازاته وحياة الحكام الذين سبقوه، مع تركيزه على جهودهم في استرجاع وهران، ومن المصادر الأساسية عن الحياة الثقافية والاجتماعية لبايلك الغرب، مع ذكر تاريخ وهران ومدينة الجزائر.[1]

ثانيا: الدور السياسي:

[1] مخفي مختار، **مرجع سبق ذكره**، ص374.

عرفت فترة الحكم العثماني بالجزائر أحداثا تاريخية كثيرة منها أحداث داخلية وإقليمية ودولية، لم يكن العلماء والمرابطون بعيدين عنها بحكم معاصرتهم ومعايشهم لها فخصصوا لها حيزا من كتابتهم ومؤلفاتهم. مما يدل على اهتمامهم بأوضاع البلاد والعالم وأوضاع المسلمين خاصة، وأوضاع غير المسلمين عامة، لقد اهتم علماء الجزائر خلال العبد العثماني بالأحداث والتطورات الداخلية والخارجية، اهتم "ابن سحنون" بأخبار الثورة الفرنسية، وكتب "أبو رأس الناصري" في أثر الحملة الفرنسية على مصر، وعن الحركة الوهابية، وكتب "ابن العنابي" من إصلاح الجند ودعا إلى أخذ بالنظم الغربية.

رغم الشروط التي وضعها حكام الجزائر خلال العبد العثماني للعلماء والمرابطين في القضايا السياسية، وهي عدم تدخلهم في شؤون السياسة والحكم، وحصر دورهم السياسي في تأييد السلطة،[1] مع فسح المجال الثقافي لهم في تولي المؤسسات الدينية والثقافية،[2] منذ البداية رسم باشاوات الجزائر خلال العهد العثماني علاقتهم بالعلماء ووضعوا الخطوط الحمراء على أنه رجل الحرب والسياسة، وأن العلماء هم رجال العلم والقلم لا يجوز لهم التدخل في أمور الحرب والسياسة وإن تجاوزوا ذلك لاحقتهم لعنته وسخطه.[3]

كان للعلماء دور سلبي في الحياة السياسية وشؤون الحكم، إذ لم يكن لهم دور في انتخاب أو اختيار أو تنصيب حاكم الجزائر وباقي مجلس أعضاء حكومة الداي، واقتصر دورهم في حضور اجتماعات الديوان بمناسبة مراسيم تعيين الحاكم الجديد. إذ كان للأوجاق الدور الفعال في اختياره وتنصيبه وتحديد مصيره، من خلال العزل أو الاغتيال، في حين كان العلماء والمرابطين ينتظرون انقشاع

---

(1) كورين شوفالية، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510–1541)**، ترجمة: جمال حمادية، د.م.ج، الجزائر، 2007، ص86.

(2) مخفي مختار، **مرجع سبق ذكره**، ص379.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)**، مرجع سبق ذكره، ص416.

الضباب والرؤيا بعد ثورة الأوجاق على الباشا بقبول الأمر الواقع بتقديم التبريكات والبيعة والولاء، تجنبا لغضب الباشا أو الداي.[1]

1-مبعوثين ومفاوضين ووسطاء:

لم يقتصر دور العلماء والمرابطين على الوساطة في الأمور الداخلية، بل تجاوزت مهامهم الحدود الخارجية، كمبعوثين وسفراء وسياسيين في وقت السلم والحرب،[2] خاصة بين تونس والمغرب الأقصى حيث الصراعات دائمة بينهما، فكان للعلماء دور كبير في عملية الصلح بين الطرفين.

كان أول السفراء "محمد بن علي الخروبي الطرابلسي" إلى المغرب الأقصى، ومن أشهر السفارات التي قام بها العلماء، كسفراء ومبحوثين للسلطة، العلامة "محمد بن محمود العنابي"،[3] الذي كان عالما وفقها ودبلوماسيا ناجحا، حين فوض من قبل الداي "عمر باشا" (1233-1231هـ/1817-1815م)

سفيرا في المغرب الأقصى على إثر حملة (Ex Maoth) إكس موث (1232هـ/1816م) طالبا العون

العسكري من السلطان المغربي "مولاي سليمان" لتجديد جيشه وأسطوله، وقد أورد الزهار في مذكرته: «أن الباشا كتب إلى السلطان كتابا بعثه مع السيد الحاج محمد بن العنابي قاضي سادة الحنفية رسولا"، وقد نجح في ذلك سفارته: ولنفس السبب أرسله الداي في سفارة إلى اسطنبول (1233هـ/ 1817م).[4]

2-الدعوة إلى إصلاح الجيش:

---

(1) **نفس المرجع السابق**، ص495.

(2) مخفي مختار، **مرجع سبق ذكره**، ص380.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)**، مرجع سبق ذكره، ص404.

(4) مخفي مختار، **مرجع سبق ذكره**، ص-ص 180-181.

كما عالج ابن العنابي قضية جوهرية وهي تعلم العلوم من الكفرة وما موقف شريعة الإسلامية من ذلك، وأن القضية أخذت جدالا بين علماء العالم الإسلامي عامة والجزائر خاصة، ما حكم تعلم المسلم علوما من غير المسلمين ؟. من خلال كتابه "السعي المحمود"، تطرق "ابن العنابي" إلى هذه المسألة، مستدلا بوقائع من التاريخ الإسلامي ومن السيرة النبوية المطهرة خصوصا، فقي غزوة بدر، أسر رسول الله ﷺ سبعين فردا من قريش، فيداً بأخذ الفدية منهم على قدر أموالهم.

واشترط رسول الله ﷺ على من لا يملك أموالا لفديته، بأن يقوم بتعليم عشرة غلمان، إلقاء حريته، بحكم أن أهل مكة يتقنون الكتابة عكس أهل المدينة، كما روى "زيد بن ثابت" أن رسول الله، طلب منه تعلم اللغة السريانية القراءة الرسائل الواردة مهم. فتعلمها في سبعة عشر يوما.[1]

وانطلاقا من هذه الوقائع التاريخية رأى "ابن العنابي" ضرورة تعلم الفرد المسلم لما يجهله ولو من أفراد أو جماعات يناقضونه عقيدة وفكرا، فيقول في ذلك: «فإنه إذا جاز تعلم الكتابة عنهم التي يتوسل بمعرفها إلى كتابة كلام الله تعالى، وتلاوته وحفظه فالأولى غيرها كالأمور الحربية التي نحن في بيان الاحتياج، الجواز تعلمها مهم، مع قيام الضرورة إلى ذلك، ودلت الأخبار الباقية على جواز تعلم ما اختص به الكفرة من معارفهم، إذا توقف عللها أمر ديني...، وعن هذا ومثله عمل جمع من مشايخنا الحساب والطب في جملة العلوم المفروضة على سبيل الكفاية، مع أنهما من علوم كفار الفلاسفة».[2]

لم يكتف العالم "ابن العنابي" بإظهار أخطار المشروع الأوروبي الاستعماري، بل بين الطرق المواجهة لهذا المشروع، حيث دعما إلى التقرب من الأوروبيين دون استثناء ونادى بتقليد الأوروبيين في مبتكراهم وصنائعهم وأسلحتهم وفنونهم العسكرية.

3-الاهتمام بالجهاد العسكري:

كان العلماء في مقدمة من وقف في مواجبة خطر الاحتلال الاسباني وعلى الخصوص المرابطين، خاصة بعد الْتقاف الأهالي حولهم باعتبارهم السلطة القوية والقادرة على حمايتهم والدفاع

---

[1] **نفس المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[2] مخفي مختار، **مرجع سبق ذكره**، ص381.

عنهم، أمام فشل السلطة السياسية آنذاك، فالزوايا والطرق الصوفية كانت قادرة على إثارة الحماس وتجنيد الأتباع وتنظيم المقاومة، باسم الجهاد في الله ضد التواجد الاسباني، كان العلماء والمرابطون "الحزب الديني المنادي بالجهاد باستمرار،[1] فالحملات المسيحية المتكررة على السواحل الجزائرية، جعلت العلماء وعلى الدوام يقومون بدور رئيسي في مواجهة الاحتلال الصليبي ورد العدوان الخارجي من خلال تجنيد السكان المحليين وحثهم على حمل السلاح، أو من خلال أعمال التعبئة التي تتطلبها الحروب والمواجهات العسكرية عبر الفتاوى التي تدعو إلى جهاد الكفار الصليبيين وتحرير الأرض المغتصبة، ولم تقتصر دعوة العلماء على الجهاد والحث عليه بفتاواهم وبقصائدهم، بل هنالك علماء شاركوا بأنفسهم أو من خلال أتباعهم أو مريديهم في الدفاع عن البلاد، وعلى أن يكونوا في الصفوف الأمامية أفردا أو جماعات. مع تذكير الحكام وتشجيعهم على الجهاد. وهذا من خلال شعر "الاستصراخ".

وهذا ما ساعد على ظهور العلماء المجاهدين، فلم تقتصر أعمالهم على العبادة والزهد فقط، ولكتنها تعدت ذلك إلى الجهاد في سبيل الله، ومنهم من اختار الرباط للظفر بالشهادة، باعتبارها الطريق الأسرع والمضمون إلى الجنة، فقد ورد عن المدني أن أبا "عبد الله محمد الموفق التلمساني" كان أكثر الناس حرصاً على الظفر بالشهادة، ونجد هذه الازدواجية متمثلة في وجود مصلى بجانب الرباط تقابله حجرات صغيرة بغير نوافذ يرابط فيها الجنود الصوفية.[2]

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)**، مرجع سبق ذكره، ص20

[2] مخفي مختار، **مرجع سبق ذكره**، ص383.

خلاصة:

ومن خلال هذا الفصل نجد أن البيوتات الكبرى بدار السلطان من بيت قدورة، وبن العنابي، وابن علي، تعد من أهم البيوتات في مدينة الجزائر لإشتهار علماءها، بالإضافة إلى لوظائف الدينية والقضاء والإفتاء، كما يتحلى أبنائها بالعلم، فكان من علماء الأعلام، فنجد أن أصول بيوتات مدينة الجزائر مختلفة، فمنهم من ينتمي إلى السكان الأصليين للمدينة ومنهم الأندلسيين والعثمانيين الأتراك وهم الذين بدورهم ساهموا في تنشيط الحياة الثقافية خلال العهد العثماني بالجزائر.

خاتمة

لقد توصلنا من خلال دراستنا لموضوع مراكز الإشعاع الثقافي في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني إلى إلى مجموعة من الإستنتاجات أهمها :

- هنالك إرتباط وثيق بين الأوضاع السياسية وعلاقتها بالأوضاع الثقافية وهي الصورة التي كان عليها الوضع في الجزائر مع مطلع القرن(10هـ/16م).
- لم تكن للعثمانيين سياسة واضحة في تعليم مما إنعكس إيجابيا على الحياة الثقافية في البلد حيث نشطت حركة التأليف في هذه الفترة.
- إتسم الوجود العثماني في الجزائر قبل 1518 بالمحافظة على كيان المجتمع الجزائري وهذا ما ساهم بالإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية بإسم الأعراف والدين.
- ساهم الوجود العثماني بالجزائر في التطور والإزدهار وتغيير الواقع الإجتماعي.
- _عدم إهتمام العثمانيين بالجانب الثقافي والعلمي لأسباب عديدة أهمها أن الدولة العثمانية كانت دولة سياسية وعسكريا، أما عن الأوضاع الثقافية في الجزائر فقد تأثرت بالأوضاع السياسية، فإن المؤسسات الدينية هي من كانت تحمل مسؤولية نشر العلم والمعرفة. و كان لها دورا بارزا في ترقية الحياة الثقافية و الفكرية .
- أثر الجانب الثقافي في الجزائر العثمانية على مختلف الميادين منها الجانب الفكري والإجتماعي والسياسي.
- تطور علاقة الحياة الثقافية والفكرية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية بالمؤسسات الثقافية والمراكز: مثل المساجد ومدارس وزوايا فكانت الوجهة لأخد العلم منها وممارسة تعليمية.
- ظهور عدد من المدارس والزوايا التي انتشرت في أنحاء الجزائر لتكون مراكز للثقافة العربية _دعم الوقف لمجال التعليم و الذي كان منتشرا إلا أن العثمانيين إهتمو به في خدمة الطلبة العلم و العلماء و تسيير شؤونهم و تشييد المؤسسات العليمية ،غير أن هناك عوامل جعلت الأوقاف و غيرها من مؤسسات غير فعالة في خدمة التعليم و النهوض بالمجتمع

- دور علماء الجزائر في المساهمة الفعالة في العلوم النقلية والعقلية حيث كثرت الدراسات فيها خلال تلك الفترة.
- إرتباط التاريخ بعدد من البيوتات و الأسر العلمية بمدينة الجزائر التي ساهمت في دفع الحركة الثقافية إلى الأمام من خلال تصدي أبناءها للتدريس و التأليف و اختلاف أصولها ومذاهبها و أبرزها تجاوزت قرن من زمن كبيت قدورة بمدينة الجزائر كما حصرت الخطابة بجوامع كبرى في بعض البيوتات.

هذه بعض النتائج التي تمكنا من التوصل إليها من خلال دراستنا للموضوع مراكز الإشعاع الثقافي خلال العهد العثماني، وأننا نعتبر ما توصلنا إليه ما هو إلا مساهمة متواضعة في مجال هذا البحث.

تم بفضل الله وعونه...

قائمة المصادر والمراجع

أولا–قائمة المصادر:

أ–القرآن الكريم:

1) **سورة آل عمران**، الآية 92.
2) _____، الآية 96.
3) **سورة البقرة**، الآية 215.
4) _____، الآية 245.
5) _____، الآية 268.
6) **سورة الحجرات**، الآية: 13.
7) **سورة مريم**، الآية 48-49.

ب–السنة النبوية:

1) البخاري في صحيحه، **كتاب الجهاد والسير**، باب بغلة البي ﷺ، حديث رقم: 2873.
2) _____، **كتاب الجهاد**، باب من احتبس فرسا في سبيل الله، حديث رقم: 1753، دار الاعتصام، القاهرة–مصر، ج2.
3) _____، **كتاب الوصايا**، باب نفقة القيم للوقف، رقم الحديث، 2677.
4) _____، **كتاب الوصايا**، باب وقف الأرض للمسجد.
5) مسلم في صحيحه، **كتاب الوصية**، باب ما بلحق الانسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم 1631.
6) _____، **كتاب الوصية**، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم: 1631.

قائمة المصادر:

1) ابن الأثير الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، المكتبة التوفيقية، القاهرة-مصر، ج2.

2) _____، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، المكتبة التوفيقية، القاهرة-مصر، ج3.

3) _____، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، المكتبة التوفيقية، القاهرة-مصر، ج4.

4) ابن حجر العسقلاني، **هدي الباري في شرح صحيح البخاري**، دار مصر، مصر، 2001، ج5.

5) ابن كثير، **البداية والنهاية**، دار المنار، ط1، 2001، ج7.

6) ابن منظور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت-لبنان، المجلد15، 1988.

7) جلال الدين السيوطى، **تاريخ الخلفاء**، تحق: اسم الشماعي ومحمد العثماني، دار الأرقم، بيروت-لبنان، 2010.

8) _____، **طبقات المفسرين**، وزارة الأوقاف السعودية، السعودية، 2014.

9) حسين بن رجب شاوش ابن المفتي، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، تح: فارس كعوان، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، سطيف-الجزائر، 2009.

10) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2009، ج1.

11) عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، اعتنى به: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 2010م.

12) _____، **العبر**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2003م، ج4.

13) _____، **المقدمة**، دار ابن الهيتم، ط1، القاهرة-مصر، 2005م.

14) **موسوعة ويكيبيديا**.

15) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار الفكر، يروت–لبنان، مجلد 1.

ثانيا–قائمة المراجع:

أ–الكتب:

1) أحمد بن محمد المقري، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تح: محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت–لبنان، 1998م.

2) أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر–تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية**، المطبعة العربية، الجزائر ،1391.

3) _____، **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766–1791م) سيرته، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

4) الأندلسي ابن حزم، **جمهرة العرب**، تح: محمد هارون عبد السلام، دار المعارف، مصر، 1962م.

5) بن خلدون يحي، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح: حاجيات عبد الحميد، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ج1، 1980م.

6) التنسي أبو عبد الله، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، تح: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

7) الذهبي. **سير أعلام النبلاء**، تقد: سيد حسن العقباني، دار التوفيقية، مصر، ج3.

8) رشيد بورويبة، موسى لقبال، حاجيات عبد الحميد، **الجزائر في التاريخ**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، د ت.

9) سعاد فويال، **المساجد الأثرية لمدينة الجزائر**، دار المعرفة، ب.ط، الجزائر، 2010.

10) سعد الله أبو القاسم، **المفتي الجزائري ابن العنابي–رائد تجديد الاسلام (1775–1850)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ب.ط، الجزائر، 1977.

11) ـــــــــ، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1800)**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت–لبنان، ج1، 1998.

12) ـــــــــ، **تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ج1.

13) ـــــــــ، **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ب.ط، الجزائر، 1983.

14) عائشة غطاس، **الادارة المركزية**، ضمن كتاب: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م–2007م.

15) عبد الباسط بن خليل، **رحلة بن خليل عبد الباسط، نشرها للعربية روبرت برونشفيك**، باريس–فرنسا، 1936م.

16) عبد الحميد حاجيات، **أبو موسى حياته وآثاره**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1982م.

17) عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج3، دت.

18) عبد العزيز فيلالي، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، الشرة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

19) الغبريني، **عنوان الدراسة**، التنبكتي، نيل الابتهاج، نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص319.

20) فاطمة قشي، **قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ميديا بوليس**، قسنطينة-الجزائر، 2005.

21) فوزية لزغم، **الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830**، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 2009.

22) كورين شوفالية، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541)**، ترجمة: جمال حمادية، د.م.ج، الجزائر، 2007.

23) محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

24) محمد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقبان في شرف بني زيان**، تح وتع: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر،2011م.

25) محمد بن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تق وتع: المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013.

26) محمد عمرو الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

27) مختار حساني، **تاريخ بايات قسنطينة**، تح: مختار حساني، منشورات دحلب، الجزائر، 1999م.

28) مسعود كواتي محمد الشريف سيدي موسى، **أعلام مدينة الجزائر ومتيجة**، منشورات الحضارة، الجزائر، 2006.

29) مصطفى بن حموش، **مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية**، دار الأمة، ب.ط، الجزائر، 2010.

30) ناصر الدين سعيدوني ومهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج4، 1984.

31) ناصر الدين سعيدوني، **أبحاث ودراسات في تاريخ العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1988م.

32) _____، **التجربة الأندلسية في الجزائر-ندوة الأندلس**، مكتبة الملك عبد العزيز، ط1، الرياض-المملكة العربية السعودية، 1996م.

33) الناصري أبو راس، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

34) نور الدين عبد القادر البسكري، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر**، دار الحضارة، ب.ط، الجزائر، 2007.

35) يحي بوعزيز، **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، ط1، الجزائر، 2002.

ب-قائمة الرسائل والأطروحات الجامعية:

1) سميرة نميش، **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (7-10هـ/13-16م)**، إشراف: رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخص-ص تاريخ حضارة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، أ.د. عبدلي لخضر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان-الجزائر، 2014/2013م.

2) عبد الرحمان بوسعيد، **الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اطار المدرسة الدكتورالية-الدين والمجتمع، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران-الجزائر، 2011-2012.

3) علال بن عبد المولى، بن وليد يزيد، التركيبة **الاجتماعية لسكان الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830**، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، قسم العلوم الانسانية، شعبة تاريخ، تخص-ص تاريخ حديث ومعاصر، الجامعة الافريقية العقيد أحمد دراية، أدرار-الجزائر، 2017-2018.

4) فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين (7-9هـ/13-15م)**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف: خالد كبير علال، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008م.

5) فتيحة فرحي، **المساجد والعمران في الجزائر خلال العهد العثماني**، مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة-الجزائر، 2016-2017.

6) فوزية لزغم، **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246هـ / 1520-1830م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014.

7) لخضر بوعبدلي، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1554م)**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، إشراف: أ.د.

حاجيات عبد الحميد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-الجزائر، 2005/2004م.

8) محمد الحاج سعيد، **مساجد القصبة في العهد العثماني-تاريخها ودورها وعمارتها**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص: الحضارة الإسلامية، قسم اللغة والحضارة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، الجزائر، 2014-2015.

9) منصور درقاوي، **الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين 10هـ-13هـ / 16م-19م بين التأثير والتأثر**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران-الجزائر، 2014-2015.

ج-قائمة المحاضرات والحوليات:

1) حميد أيت حبوش، **واقع التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني**، حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، مج 9، ع7، 31 ديسمبر 2013.

2) سعد الله أبو القاسم، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث-بداية الاحتلال**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 9، الجزائر، 1982م.

3) ــــــــ، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث-بداية الاحتلال**، الشركة الوطنيو للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 2011.

4) سعيد بوزرينة، **سند بيداغوجي موجه لفائدة لطلبة السنة الثانية ليسانس مسار تاريخ عام السداسي الثاني**، محاضرات في مقياس: تاريخ الجزائر الثقافي الحديث والمعاصر، المركز الجامعي نور البشير، البيض-الجزائر، 2016-2017.

5) صبيحة بخوش، **وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني**، حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، مج1، ع2، جوان 2008م.

6) مجموعة من الأستاذة، **دليل إعداد مذكرات التخرج في الليسانس والماستر 2018-2019**، قسم-التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة غرداية، 2019.

د-قائمة المجلات:

1) أحمد بحري، **ملامح التاريخ الثقافي للجزائر في العهد العثماني**، في المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران1-أحمد بن بلة-الجزائر، مج8، ع9، 2012م.

2) ذهبية بوشيبة، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، في مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سعيدة، مج3، ع1، 2019.

3) صليحة بردي، **الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني-دراسة في الواقع والمعطيات**، في مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جامعة قاصدي مرباح-ورقلة-الجزائر، ع11، جوان 2018م.

4) _____، **الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني-دراسة في الواقع والمعطيات**، مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد: 11 جوان 2018، كلية الآداب واللغات، جامعة الجيلالي بوتعامة، خميس مليانة-عين الدفلى-الجزائر.

5) صليحة بردي، **الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني-دراسة في الواقع والمعطيات**، مجلة الذاكرة: تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأردني في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد: الحادي عشر جوان 2018، كلية الآداب واللغات، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة (عين الدفلى)-الجزائر، 2018.

6) عباسية بلحسين رحوي، **دراسة سوسيو تاريخية للتعليم الجزائري من العهد العثماني إلى الاستقلال**، في مجلة الحوار الثقافي، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، مج2، ع2، 21 سبتمبر 2013م.

7) عبد العزيز قيبوج، **الحياة الثقافية والأدبية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)**، في مجلة تنوير للدراسات الأدبية والإنسانية، جامعة زيان عشور الجلفة-الجزائر، مج3، ع2، 2019.

8) عبد القادر دحدوح، **الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني، دراسات في آثار الوطن العربي**، العدد 19، المركز الجامعي بتيسمسيلت، الجزائر، 2017.

9) فاطمة الزهراء قشي، **مؤسسة الأوقاف في قسنطينة في العصر الحديث**، في مجلة دراسات إنسانية، جامعة الجزائر2، أبو القاس سعد الله، الجزائر، مج01، ع02، 2002/2001.

10) فلة موساوي القشاعي، **أوقاف أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني**، مجلة دراسات إنسانية، ماي 2001، الجزائر.

11) محمد الأمين شرويك، **جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية**، في مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، جامعة الأغواط-الجزائر، ع8، جوان 2018.

12) محمود مؤيد حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، **أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، (مجلة علمية محكمة)، مج5، ع16، جمادى الآخر 1434هـ/ نيسان2013م.

13) مختار مخفي، **دور علماء الجزائر اجتماعيا سياسي خلال العهد العثماني (1518-1830م)**، مجلة متون، المجلد الثامن، العدد الرابع، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة الجزائر، جانفي 2017.

الملاحق

الملحق رقم 01: صورة لمسجد براني بباب الجديد اعالي.

الملحق رقم 02: لوحة تذكارية لجامع البراني.

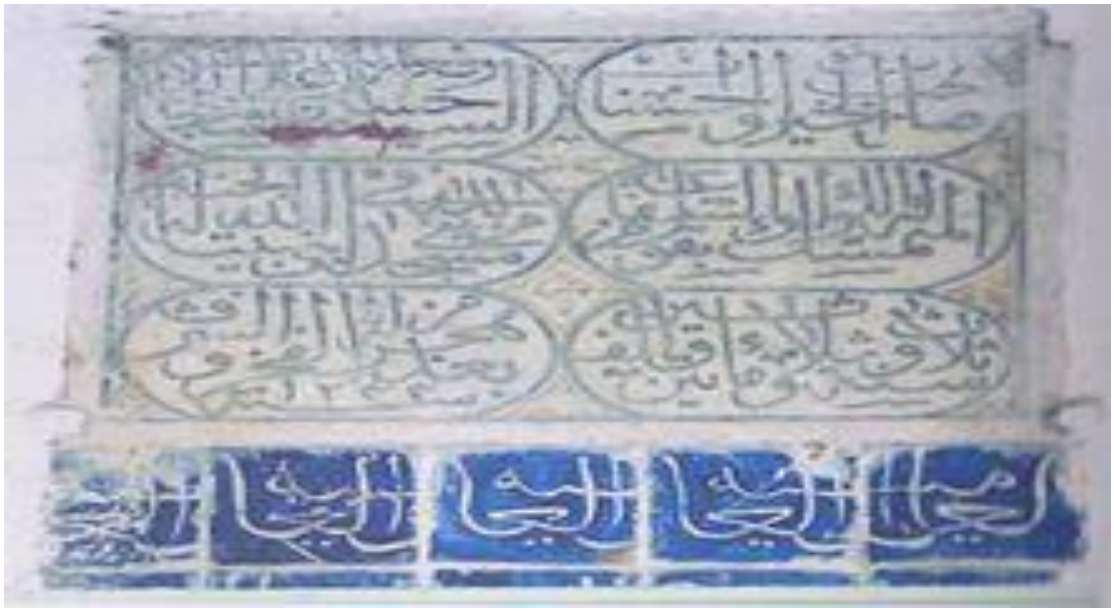

الملحق رقم 03: لوحة تذكارية لجامع كتشاوة.

الملحق رقم 04: نافدة عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني.

الملحق رقم 05: جامع علي بتشني.

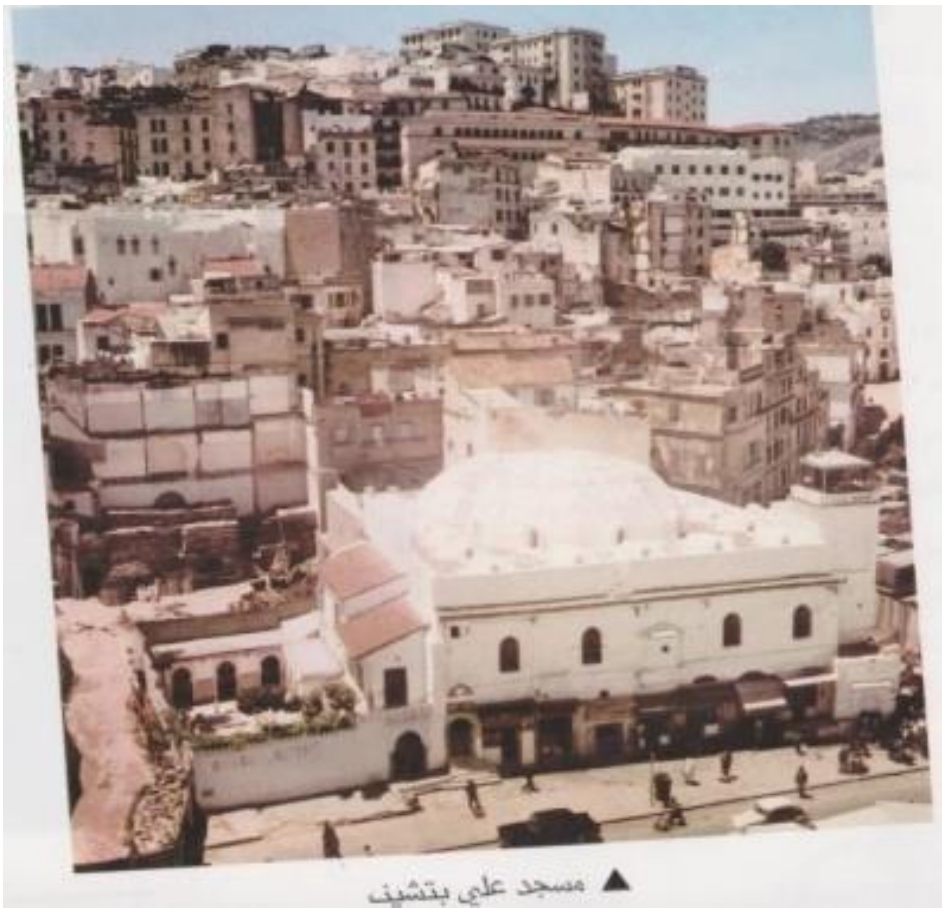
▲ مسجد علي بتشين

الملحق رقم 06: أشهر مساجد مدينة الجزائر.

الملحق رقم 07: مسجد سيدي رمضان

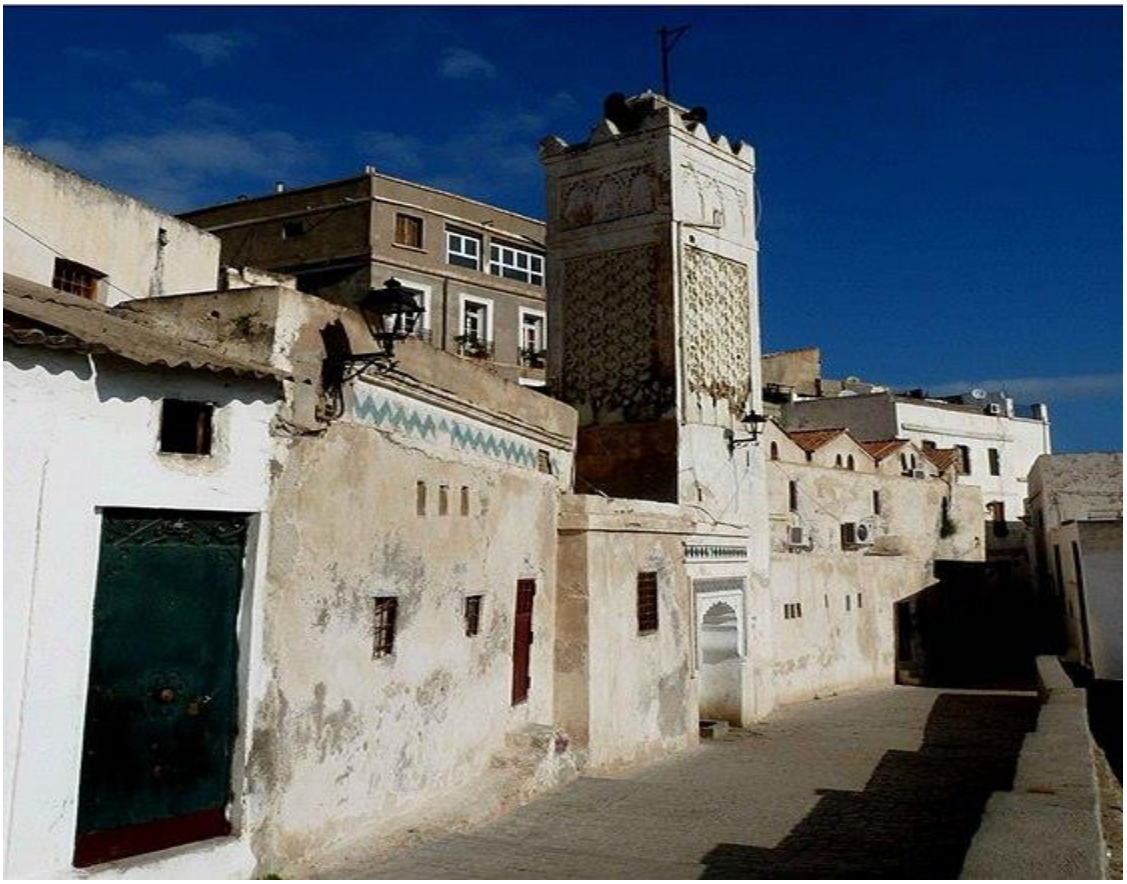

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	
المحتوى	الصفحة
الاهداء.	-
الشكر والتقدير.	-
1-أهمية الدراسة.	أ
2-أسباب اختيار موضوع الدراسة.	أ
3-حدود الدراسة.	ب
4-إشكالية الدراسة.	ب
5-منهج الدراسة.	ج
6-أهداف الدراسة.	ج
7-الدراسات السابقة.	ج
8-نقد المصادر والمراجع.	د
9-تقسيمات الدراسة.	و
10-صعوبات الدراسة.	ز
الفصل الأول: الأوضاع العامة الثقافية في الجزائر بداية التواجد العثماني.	
تمهيد.	9
المبحث الأول: الأوضاع الثقافية في الجزائر في القرن (10هـ/16م).	10
أولاً: أبرز المؤسسات الثقافية في الجزائر(10هـ/16م).	10
ثانيًا: العلوم النقلية في الجزائر خلال القرن (10هـ/16م).	14
ثالثًا: العلوم العقلية في الجزائر خلال القرن (10هـ/16م).	16
المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية في الجزائر في القرن (10هـ/16م).	18

أولاً: تأثير هجرة الأندلسيين.	18
ثانيًا: التواجد المسيحي واليهودي في مدن الجزائر.	22
ثالثًا: مجيئ العثمانيين.	23
المبحث الثالث: سياسات التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني.	25
أولاً: التعليم قبل مجيء العثمانيين.	25
ثانيًا: اهتمام العثمانيين بالتعليم والعلماء.	27
ثالثًا: دور بعض البايات في الحركة العلمية.	29
خلاصة.	37
الفصل الثاني: المؤسسات الثقافية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.	
تمهيد.	39
المبحث الاول: الأوقاف والمساجد.	40
أولا: الأوقاف.	40
ثانيا: المساجد.	58
المبحث الثاني: الزوايا والمدارس.	67
أولا: الزوايا.	67
ثانيا: المدارس.	70
المبحث الثالث: دور ومساهمة المؤسسات الثقافية في تعليم وتثقيف المجتمع.	74
أولا: الممارسة التعليمية.	74
ثانيا: الأطوار التعليمية.	78
خلاصة.	82
الفصل الثالث: نماذج من البيوتات والأسر العلمية في مدينة الجزائر.	

تمهيد.	84
المبحث الأول: بيت قدورة.	85
أولا: علماء بيت قدورة.	85
ثانيا: بيت قدورة وإدارة الجامع الكبير بمدينة الجزائر.	86
المبحث الثاني: بيت إبن العنابي الحنفي.	89
أولا: علماء بيت إبن العنابي الحنفي.	89
ثانيا: البيوتات واسر علمية ذات أصول أندلسية بمدينة الجزائر.	91
المبحث الثالث: بيت إبن علي.	95
أولا: علماء بيت إبن علي الحنفي.	95
ثانيا: بيوتات وأسر علمية ذات أصول عثمانية.	96
المبحث الرابع: دور العلماء في ترسيخ ونشر العلم والمعرفة.	99
أولا: دورهم العلمي وثقافي.	99
ثانيا: الدور السياسي.	102
خلاصة.	107
خاتمة.	109
قائمة المصادر والمراجع.	112
الملاحق.	123
فهرس المحتويات.	128
قائمة الملاحق.	131
ملخص الدراسة.	133

قائمة الملاحق		
الملحق	**المحتوى**	**الصفحة**
01	صورة لمسجد براني بباب الجديد اعالي.	11
02	لوحة تذكارية لجامع البراني.	11
03	لوحة تذكارية لجامع كتشاوة.	11
04	نافدة عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني.	11
05	جامع علي بتشني.	11
06	أشهر مساجد مدينة الجزائر.	11
07	مسجد سيدي رمضان	11

ملخص الدراسة

الملخص:

لم ينشأ الحكم العثماني من الفراغ دفعة واحدة في القطر الجزائري، ولكنه أخد وقتا طويلا حتى يمتد ويتوطد، وشجع الاستقرار الداخلي للدولة الجزائر وهويتها على تطور الروابط الثقافية حيث ارتبط الوضع الثقافي عامة والحياة الفكرية خاصة في الولايات العثمانية بالمؤسسات التعليمية، التي كانت تقوم على الكتاتيب والمدارس والمساجد والزوايا وحتى البيوتات والأسر العلمية، التي بدورها أنجبت العديد من العلماء المدرسين والمؤلفين التي كانت تنشر العلم في المدن والريف، وأشهر المدارس والزوايا التي كانت في مدينة الجزائر التي كانت تؤدي أدوار المراكز الثقافية والفكرية.

كما يمكن القول ان الوضع الثقافي في تلك الفترة كان بارزا وله الأثر البالغ عن كل القطاعات، إلا أن الحياة الثقافية كانت أحسن حالا مما كانت عليه باقي الميادين فقد عرفت بروز الطرق الصوفية وبناء الزوايا ومدارس ومساجد الدينية بغرض نشر الإسلام في الجزائر وللحفاظ على تماسك المجتمع من الناحية الروحية والثقافية.

الكلمات المفتاحية: مراكز الاشعاع الفكري، مدينة الجزائر، الوضع الثقافي، العهد العثماني، الحياة الفكرية، العلم، العلماء.

Abstract:

The development of public cultural relations and intellectual life in the Ottoman United States began with educational institutions. Mosques, corners, and even houses and scientific families, in turn, gave birth to the world of scholars and libraries who spread knowledge in cities and the countryside, and the most famous schools and corners that were in the city of Algiers, which were the roles of cultural and intellectual centers.

It can be said that the cultural situation in that period, was the age, islands, happiness, building, mosques, publishing in Algeria and preserving the cohesion of society, the other spiritual aspect.

Keywords: Intellectual radiation centers, the city of Algeria, the cultural situation, the Ottoman era, intellectual life, science, scholars.